في رحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام

الشيخ فوزي آل سيف

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

بين يدي القارئ والقارئة

قبل أحد عشر عاما صدر كتاب (رجال حول أهل البيت)، وبعده بثمانية أعوام صدر كتاب (نساء حول أهل البيت)، وعندما أريد إعادة طباعة الكتابين رأى بعض الإخوة تجزئة هذين الكتابين بحيث يصدر كتيب حول كل معصوم، وأصحابه (رجالا ونساء)، فكان هذا الذي بين يديك، وهو يحقق عدة أمور، منها سهولة تداول كل قسم من أقسامه، بخلاف ما إذا كان أربعة مجلدات كبيرة، ومنها أن الفئة المخاطبة به هي الفئة الشابة وهم يقبلون على الكتاب الصغير حجما، أكثر من إقبالهم على كبير الحجم، ومنها أنه من خلال هذا الجمع سيتم الإحاطة بحياة المعصوم من جهات متعددة.. لكل هذه الأمور، تم تنسيق الكتابين بهذا النحو.

وها هي بين يديك إضمامة عطر من بستان أمير المؤمنين علي بن أبي طالبوأبنائه الطاهرين عليهم السلام تحتوي على حياة خمسة من الرجال الرساليين، وخمس من المؤمنات القانتات.

موجز عن حياة الإمام علي بن الحسين

زين العابدين أبو محمد عليه السلام

٣٨ـ ٩٥ هـ

ولد الإمام علي بن الحسين (السجاد) سنة ٣٨ هـ وتولى الإمامة بعد شهادة أبيه سنة ٦١ هـ وعمره آنئذٍ ٢٣ سنة وكانت مدة إمامته ٣٤ سنة.

كان مع أبيه الحسين في كربلاء وشهد مصرعه، ولم يسمح له الإمام الحسين بالاشتراك في المعركة لئلا يقتل فينقطع نسل الإمامة ـ الفعلي ـ.. وبعد شهادة أبيه عليه السلام كان على رأس قافلة أسرى أهل البيت، واستطاع من خلال ذلك إيقاظ حسّ الندم، والشعور بالتقصير، في المجتمع الكوفي بخطبه وكلماته، والتعريف بثورة أبيه وأهدافها، وموقع الحسين عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المجتمع الشامي. فكان عمله ذلك بحق ثورة أخرى حسينية.

استمر الإمام السجاد عليه السلام بعد عودته إلى المدينة بتذكير المسلمين بكربلاء وما ارتكب الأمويون فيها بالبكاء على أبيه وانتشر ذلك بين المسلمين حتى اضطر يزيد بن معاوية الحاكم الأموي إلى التنصل من مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام.

أثمرت أعمال الإمام السجاد في إيقاظ الشعور بالندم في

المجتمع الكوفي، وبعثت انتفاضة التوّابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي سنة ٦٥ هـ حيث انطلقت مجاميع من شيعة أهل البيت من الكوفة بشعار يا لثارات الحسين في عملية فدائية واجهت فيها جيوش الأمويين وهي وإن كانت عملية استشهادية لم تؤد إلى النصر الخارجي، إلاّ أنها كانت فتيل الثورات على الأمويين.

ما إن حلت سنة ٦٦ هـ حتى بدأ المختار ابن أبي عبيدة الثقفي بثورة تحت نفس الشعار، واستطاع المختار السيطرة على الكوفة والاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن وأمثالهم.

لما كانت سياسة الأمويين تقوم على العنف والإفساد الخلقي، فقد تكفلت الثورات (الحسينية وامتداداتها) بمواجهة العنف بالشهادة، وواجه الإمام السجاد الإفساد الخلقي بتوجيه الأمة إلى حقيقة العبودية لله، وفي هذا فقد خلّف الإمام السجاد تراثاً روحياً عظيماً، من الأدعية وطرق المناجاة، والتضرع إلى الله. أوقف ـ إلى حدّ كبير ـ مسيرة الانحدار الخلقي الذي أراده الأمويون للأمة.

اعتاد أن يشتري العبيد بماله، ويضعهم تحت رعايته وتربيته لمدة طويلة ثم يعتقهم، وكان هؤلاء أشبه بدم سليم، يضخ في جسم ذلك المجتمع الذي يعيشون فيه، وقد برز من هؤلاء علماء كان لهم دور في الأمة.

كان وجوده في المجتمع الإسلامي ـ بما كان يحمل من علم وخلق ـ يذكر الناس بسيرة آبائه الطاهرين وخلف تراثاً فكرياً

مهماً سواء في العقائد أو في التنظيم الاجتماعي والحقـوق، أو في الأخلاق والتربية.. وكانت شخصيته ـ وهـو المجـرد مـن عناصـر القوة الظاهرية ـ أقوى من شخـصية الخليفـة وهـو حـاكم وقـد تجلى ذلك في الطواف حول الكعبة.

عاصر من حكام بني أميـة يزيـد بـن معاويـة، ومـروان بـن الحكم، وعبد الملك بن مروان.

قضى نحبه ـ مسموما على المشهور ـ عام ٩٥ هـ ـ ودفـن في المدينة المنورة.

رجال حول الإمام السجاد عليه السلام

المختار بن أبي عبيدة الثقفي

شهيداً سنة ٦٧ هـ

«.. رحم الله أباك رحم الله أباك ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلاّ طلبه قتل قتلتنا وطالب بدمائنا..»

الإمام الباقر عليه السلام لابن المختار

كان يقرأ كتاب الدنيا و الأحداث منذ حداثة سنه، صفحة اثر صفحة ولا يغادر سطراً إلاّ بعد مزيد من التأمّل، ذلك أن الله قد وهبه نباهة جيدة، وملاحظة حادة، وفوق ذلك طموحاً كبيراً.

ولقد عرف فيه أمير المؤمنين عليه السلام ذلك إذ كان يأتي به أبوه أبو عبيدة الثقفي الذي كان من أصحاب الإمام الخلّص واستشهد في معركة مع الفرس على شاطئ الفرات.. لذلك كان يحلو للإمام أن يداعبه قائلا: يا كيّس، يا كيّس.

ملاحظاته تلك تحوّلت مع الأحداث إلى رغبة جامحة في كتابة صفحة ناصعة في سجل التاريخ الذي ظلّ حكراً على خط السياسة الذي انتهى إلى أن أصبح معاوية الطليق.. خالاً! للمؤمنين، والحاكم على بلاد المسلمين!!

و إذا كان دور المختار الثقفي أيام الإمام الحسن عليه السلام قد اتسم ـ كدور كثير من كبار الشيعة ـ بالمقاومة السلبية للحكم

الأموي، واضطرّ أن يخرج إلى ضيعة لـه خـارج الكوفـة، ويبقـى فيها فترة طويلة من حكم معاوية، إلاّ أن القدر كان يخبئ له تلك الصفحة التي شاء الله له أن يكتبها سيفه ولسانه، فظلت في سواد التاريخ الأموي إضاءة إرادة، وإشعاعه رفض.

فما أن ورد مسلم بن عقيل الكوفـة سـفيراً للحـسين عليه السلام ورسـولاً منـه إلى الكوفـة الـتي أعلـن كبارهـا خلعهـم ليزيـد، ورغبتهم في البيعة للإمام الحسين عليه السلام، ما إن ورد مسلم حـتى نزل بيت المختار الثقفي الذي تحوّل منذ تلـك اللحظـة إلى مقـرّ عمليات لـسفير الحـسين، تجمـع فيـه الأمـوال وتؤخـذ البيعـة، وتجرى الاتصالات بسائر القوى والشخصيات منـه لاسـتقطاب ولائها ونصرتها..

ولأسباب مختلفة ـ تحدثنا عن بعضها سابقاًـ فقد أخفقـت الكوفـة في حمايـة وافـد الحـسين أمـس وأميرهـا اليـوم مـسلم، واستطاع ابن زياد القـادم مـن البـصرة أن يـسيطر علـى قـصر الإمارة، كما استطاع أفراد الطابور الخامس وعبـدة الأمـويين أن يفرّقوا جمع الناس المحيطين بقصر الإمارة.. ليـصفو الجـو كـاملاً لابن زياد.. بعـد أن قتـل مـسلماً بـن عقيـل وهـانئ بـن عـروة المرادي..

❁❁❁

لم يبق أمام المختار من خيار مناسـب أفـضل مـن الالتحـاق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. وهكذا انطلق متخفياً مع جماعة من أصحابه قاصدين كربلاء، إلاّ أن شرطة ابن زياد التي أغلقـت كل الطرق كان من الهيّن عليها أن ترصد حركة هذا الجمع وبهذا

وجد المختار نفسه في مجلس عبيد الله بن زياد.. الذي شتمه، ثم ضربه بعود كان في يده فشتر عينه، وأمر به إلى السجن، حيث رأى عدداً غير قليل من خلّص أصحاب أمير المؤمنين جيء بهم، وقد خرجوا أيضاً إلى كربلاء، وكانوا تحت المراقبة المشددة خوفاً من هربهم مرة أخرى إضافة إلى أنهم كانوا يعطون طعاماً في يوم ويحرمونه في اليوم التالي.

وفي السجن يلتقي المختار بميثم التمار، الذي أُوتي من أمير المؤمنين علم المنايا والبلايا.. فيخبره بأنه سوف يخرج من السجن وسيطأ بقدمه على خد الطاغية ابن زياد.

كان من الممكن أن يعد هذا الكلام نوعاً من تعليل النفس بالأماني وهو كثير لدى من يكون في ظرف كالسجن.. إلاّ أن صدوره من ميثم، جعل المختار يراه كالشمس الضاحية..

❁❁❁

لم يعرف المختار أخبار ثورة الحسين عليه السلام إلاّ بعد نهايتها، وبعد أن خرج من السجن، ليلتقي بالعائدين الذين نقلوا له تفاصيل الحدث.

كما لم يستطع الالتحاق بجماعة التوّابين الذين خرجوا بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، منادين بالثأر للحسين عليه السلام وقتال قتلته، وكان يعد نفسه لأن يقتل أولاً، ثم يقتل.

وعاد مرة أخرى إلى ساحته في الكوفة، وبدأ ينشر فضائل أهل البيت ويتحدث عن ضرورة الثورة على الحكم الأموي، والأخذ بثأر الحسين و يعد الناس بأنه المؤهل لهذا الدور.

فيما كانت حركة التوّابين قد انتهت بشهادة قادتها، وكبار رجالها، مشكلة بذلك الحلقة الأولى في سلسلة الثورات المتأثرة بهدي أهل البيت، وعاد من استطاع الانسحاب، بعد نهاية المعركة، في وقت أخذت دعوة المختار، و حركته تتعاظم وتكبر..

و إذا كان لكل شيء آفة، فإن آفة الحركات التغييرية الناشئة تشكيك الجمهور، ولم تسلم حركة المختار من هذه الآفة، لذلك قصد عدد من أشراف الكوفة، مدينة الرسول وقصدوا محمد بن الحنفية أخ الإمام الحسين عليه السلام وكان آنئذ أكبر من بقي من أبناء أمير المؤمنين، والشاخص البارز في البيت العلوي، وكان البعض يعتقد ـ لما يتمتع به محمد من مميزات ـ أنه الإمام بعد أخيه الحسين عليه السلام.. لذلك جاء هذا الوفد، سائلين عن المختار، وهل جاء من قبل أهل البيت؟! خصوصاً أنه دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل بيته.. «فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا اجتنبناه..».

فقال لهم محمد بن الحنفية عندئذ: قوموا إلى إمامي و إمامكم علي بن الحسين عليه السلام.. فلما دخلوا عليه وأخبره بسؤلهم قال الإمام عليه السلام:

ـ يا عم لو أن عبدا زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب، على الناس مؤازرته.. وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت.. [1] وكان هذا الجواب فوق ما يتوقعونه..

❋❋❋

(١) بحار الأنوار ٤٥/ ٣٦٥.

وما إن اضطرب حبل بني أمية بهلاك يزيد، وتمرّد عبد الله بن الزبير في مكة حتى عزلت الكوفة واليها مــن قبــل عبيــد الله بــن زياد، عمرو بن حريث، وكان يتنازع الكوفـة اتجاهـان، أحـدهما يمثل عبد الله بن الزبير الذي أرسل عبد الله بـن مطيـع العـدوي والياً عليها، بينما كان اتجاه المختار يمثل الأكثرية الشيعية، الـتي لم تكن لتطمئن لابن الزبير بعدها اشـتهر عنـه مـن بغـضه لأهـل البيت عليهم السلام و امتناعه عن الـصلاة علـى الـنبي في الخطبـة الأمـر الذي لم يصنعه حتى الأمويون، مضادة منه لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيما حشد عبد الله بن مطيـع أنـصار الأمـويين مـن أهـل الكوفة أمثال شبت بن ربعي، وعمـر بـن سـعد، وحرملـة بـن كاهل الأسدي.. أعلن المختار تحرّكه بشعار: يا لثارات الحسين يا منصور أمت أمت، وكان قائد قوّاته إبراهيم بن مالك الأشتر.

وبعد جولات كثيرة من المواجهات المـسلحة بـين الطـرفين استطاع المختار الثقفي وأنصاره السيطرة على الكوفـة، ودخـل قصر الإمارة. ثم خرج إلى المسجد، وبايعه الناس علـى « كتـاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والطلـب بـدماء أهـل البيـت وجهـاد المحلّين والـدفع عـن الـضعفاء، وقتـال مـن قاتلنـا و سـلم مـن سالمنا»[1].

كانت المرحلة الأولى من حركة المختار قد انتـهت بالـسيطرة على الكوفة لتبدأ المرحلة الثانية وهي تصفية قتلة الحسين عليه السلام، خصوصاً أن هـؤلاء كـانوا العمـاد الرئيـسي للخـط الـزبيري و

(١)كامل ابن الأثير ٤/ ٢٢٦.

(قوات احتياط) للخط الأموي دائماً، وبشكل أدق لخط مصلحتهم، أينما مال. وزاد خطر هؤلاء بعد أن جهز مروان بن الحكم الذي تغلب على الأمر في الشام بعد اعتزال معاوية بن يزيد، جيشاً عهد بقيادته إلى عبيد الله بن زياد ليفتح الكوفة وينهبها ثلاثاً!

ثم أكد موقع ابن زياد، عبد الملك الذي تولى الحكم بعد أبيه مروان.

وهكذا بدأ المختار بتصفية من كان في الكوفة من قتلة الإمام الحسين وأنصاره.. فقد حمل إليه عبد الله بن أسيد الجهني ومالك بن بشير، وكانوا قد فروا إلى القادسية فلما رآهم قال:

ـ يا أعداء الله ورسوله! أين الحسين بن علي؟ أدوا إلى الحسين، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم!!.

فقالوا: رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا!.

قال: هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه؟! ثم أمر بهم فقتلوا..

ثم أرسل إلى خولى بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به، فاختفى في بيته، فدخل أصحاب المختار يفتشون عنه فخرجت زوجته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم: ما تريدون؟ قالوا لها: أين زوجك؟! قالت: لا أدري! وأشارت بيدها إلى مخبئه، فاخرجوه وقتلوه..

وهكذا قبض على حكيم بن الطفيل الطائي، فرماه أنصار المختار بالسهام حتى صير كالقنفذ وهلك، والأمر كذلك بالنسبة إلى زيد بن رقاد الجنبي، فقد رمي بالنبل والحجارة، ثم أحرق. وأيضاً فقد بعث في طلب شمر بن ذي الجوشن وكان قد هرب إلى البادية، فاحضر وضرب عنقه، وقبض على حرملة بن كاهل الأسدي فقطعت يداه ورجلاه ثم أحرق. و قتل عمر بن سعد وابنه.

ولم يبق من قتلة الحسين وأصحابه أحد يعرف إلاّ وأخذ أو هرب من الكوفة.. إلاّ أن هم المختار الأكبر كان عبيد الله بن زياد فليس هؤلاء القتلة الذين تتبعهم في الكوفة إلاّ سيئة من سيئاته..

لذلك بعث إبراهيم بن الأشتر لقتاله، فتلاقوا عند نهر الخازر بالموصل، فخطب إبراهيم في أصحابه قائلا:

يا أهل الحق وأنصار الدين! هذا ابن زياد قاتل حسين بن علي وأهل بيته قد أتاكم الله به وبحزبه حزب الشيطان، فقاتلوهم بنية وصبر لعلّ الله يقتله بأيديكم ويشفي صدوركم..

❀❀❀

وبينما كان زين العابدين في المدينة على مائدة طعام وإذا بالباب يطرق.. ومع الطارق رأس عبيد الله بن زياد أرسله المختار إليه بعد أن قتله إبراهيم بن الأشتر في المعركة، قسمه ـ بضربة ـ نصفين ثم أحرقت جثته واحتز رأسه[1].

---

(١)كامل بن الأثير ٤/ ٢٦٤.

لقد استطاع المختار أن يهزم ـ بقيادة إبراهيم بن الأشتر ـ جيش عبيد الله بن زياد وأن يقتله، وأن يتتبع من بقي من قتلة الإمام الحسين عليه السلام. وتفاقم أمره، وقوي سلطانه، وكان عبد الله بن الزبير يرقب كل ذلك بعين أضيق من سم الخياط حسداً، فإذا كان قد ترك الصلاة على الرسول عناداً لأهل بيته، وحسداً لهم، فما هو فاعل إذا نشأت دولة باسمهم في الكوفة وأخذت تتوسع؟!.

لقد عبر ابن الزبير عن ذلك بأن أخذ محمد بن الحنفية وعدداً من بني هاشم ممن كان في مكة، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة كانوا في مكة حينها من بينهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، فأجبرهم على البيعة، ولما امتنعوا حبسهم بزمزم وتوعدهم بالإحراق!! وضرب لذلك أجلاً.. إلاّ أن المختار استطاع أن ينقذهم عندما بعث عدة سرايا إلى مكة، واستنقذوهم منه.

في مواجهة ذلك النفوذ الذي حصل للمختار بعث عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة لينطلق منها بجيش لقتال المختار..

والتحم الجيشان في منطقة حروراء من أرض الجزيرة، ولم يستطع الكوفيون الذين قد فرغوا لتوهم من معركة قاسية مع جيش ابن زياد، الصمود أمام جيش البصرة ذي العدد والعدة.. وأتى خبر الهزيمة المختار في الكوفة.. فنهض برجولة وقال: ما من الموت بد، وما من ميتة أموتها أحب إليّ من ميتة ابن شميط. «وكان ابن شميط من أصحابه قد واجه منفرداً عشرات من خيالة

مصعب حتى استشهد».

وإذا كان يحلو لبعض القادة عندما يرون الريح في غير جهتهم أن يستسلموا وينهزموا، فإن المختار قد فعل فعل الرجال الصادقين، فقد تطيب وتحنط ونزل من القصر في تسعة عشر رجلاً وقد أحكم جيش مصعب الحصار حوله فقاتل عامة ليلته ثم استشهد...

وإذا كانت البطولة قد نضحت من إناء المختار فإن مصعباً كان يعبر بأفعاله عن اللقب الذي ارتضاه لنفسه (الجزار). «وأتى بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلاّ حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصاري، وقالت: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله و لرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس؟».

فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجعت عمّا هما عليه وتبرأتا منه و إلاّ فاقتلهما!!.

مرحى.. للبطولة والشجاعة والمروءة!!.

وعرضهما مصعب على السيف، فرجعت ابنة سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت:

ـ لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لكفرت، أشهد أن المختار كافر.

وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت:

ـ شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا! إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون، آتي مع ابن هند فأتبعه، وأترك ابن أبي طالب، اللهم اشهد إني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته[1].

ثم قدمها وأمر بقتلها، فضربت ثلاث ضربات بالسيف![2]

ففي ذلك يقول الشاعر:

إن من أعجب الأعاجيب عندي

قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلماً على غير

جرم إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذيول

(١)مروج الذهب ٣/ ١٠٧.
(٢)الكامل ٤/ ٢٧٥.

يحيى ابن أم الطويل المطعمي

قتله الحجاج الثقفي

كانت الفاجعة أكبر من القدرة على التحمل، وفصول المأساة عصية على الاستيعاب.. وكان السؤال الذي لون الأفق العام في الأمة: هل يمكن هذا؟!.

الحسين بن بنت رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة ريحانة الرسول، وإمام المسلمين، يذبح في نصف نهار مع خيرة أصحابه وأقاربه.. على يد (المسلمين)؟! ثم تعود حياة الناس إلى سابق عهدها وكأن شيئاً لم يكن؟!.

أين نصر الله!! وأين وعده الذي أوجب على نفسه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ ومتى تتحقق ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؟ ومن أولى من الحسين بدفاع الله عن الذين امنوا ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وإذا كان قد صنع بالحسين كل ذلك وهو من هو.. فماذا سيصنع بغيره من سائر الناس عند التحرك؟! وإذا.. فإن من الأفضل صيانة النفس، والاجتناب من موارد الهلكة..

مثل هذه الأسئلة و (الثقافة) كانت قد أعقبت شهادة الإمام الحسين في كربلاء، وانتشرت بسرعة، كونها تنسجم مع خط

التخاذل في حياة الإنسان.

وثقافة التخاذل في نفس الإنسان أسرع من السيل إلى السفح، ويكفي أن يعطي عنوانا ليقرأ كتابا كاملا فيها.

وهكذا «ارتد الناس بعد مقتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا..» كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

لم تكن ردة دين! بل ردة ثقافية في فهمه.. ردة في النفوس بعد أن أفقدها المأساة تجلدها، جعلتها تشعر حيناً من الوقت أن سلطان بني أمية لا يقاوم ولا يواجه، والدليل على ذلك كربلاء.. وأي ردة أكبر من هذه في ميدان الثقافة والشجاعة!! إلاّ أن ذوي المعرفة بحقائق الحياة وسنن المجتمع لا يرسلون بصائرهم تبعاً للأحداث الصاخبة، ولا يقصرون إيمانهم على المجسدات والوقائع الظاهرية لأنهم (يؤمنون بالغيب) وبأيام الله القادمة من رحم اليأس تصنع النصر والعزة للمؤمنين، وبالرغم من أن غيرهم سيؤمن بها في المستقبل حين يراها عياناً، إلاّ أن هؤلاء يتميزون عن أولئك أنهم يرون المستقبل في الحاضر، ويعيشون الجنة في الدنيا «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون»..

بقي هؤلاء وفي طليعتهم يحيى ابن أم الطويل مع إمامهم زين العابدين يصنعون من اليأس أملاً، ومن الردة النفسية عودة توّابين، ومن القنوط رجاء رحمة.. ومن خلال ذلك وغيره (لحق الناس وكثروا).

بين الواقع والواجب، علاقة وثيقة، ذلك أن التشخيص

الدقيق للواقع يجعل المرء قادرا على ممارسة الواجب المناسب لـه. بينما عند خطأ المرء في تشخيص واقعه المعاش لا شـك ينتـهي إلى القيام بواجب، ولكن غير مناسب، أو غير مطلوب.

وإذا كان أثـر التـشخيص الخـاطئ للمطلـوب في الأحكـام الـشرعية يقتـصرـ عـادةـ علـى الـشخص نفـسه، فـإن أثـر التـــشخيص الخـــاطئ للمطلـــوب في الميـــادين الاجتماعيـــة والسياسيةـ عادةـ يعم حياة الفرد والمجتمع.

لقد كان المطلوب من المسلمين مناصرة الإمام الحسين عليه السلام والنهوض معه في ثورتـه، بينمـا اكتفـى الـبعضـ تعبـداً فيمـا يزعمـ بأن أغلق باب داره عليه ساجداً وراكعاً..

وهكذا فنحن إلى اليوم نعاني من سـوء التـشخيص للواقـع وبالتالي الواجب المطلـوب لهـذا الواقـع، فيمـا تحتـاج الأمـة إلى التنظيم يفكر البعض بالمظاهرات، أو تحتاج إلى كلمة حـق عنـد سلطان جائر يعزفون على وتر التقية!!.

لقد عاش المسلمون آنئذ وضعاً خانقاً، استفاد الأمويون مـن نتائج معركة كربلاء تعميقه وتأكيـده بعـد أن فرضـته سياسـات معاويـة بالتـشريد والقتـل ومنـع العطـاء ومطـاردة ذكـر أمـير المؤمنين عليه السلام و «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القـوم فاهـدموا داره وامنعوه عطاءه»..

فقد كان الوضع يحتاج إلى رجل من أتباع الأئمة يحمـل روح كربلاء في البراءة من الظالمين، وتمزيق نسيج الخوف الـذي ألبـسه الأمويون للوضع الإسلامي.. ولو أدى ذلك إلى مقتله.

فإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرء بالسيف في الله أفضل

وكان ذلك الرجل يحيى ابن أم الطويل، فقد كان يأتي ويقف بالكناسة (الكوفة) ثم ينادي بأعلى صوته:

ـ معشر أولياء الله.. أنا براء مما تسمعون، من سب علياً فعليه لعنة الله، ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله.. ثم يخفض صوته فيقول:ـ من سبّ أولياء الله فلا تقاعدوه، ومن شك فيما نحن عليه فلا تفاتحوه ومن احتاج إلى مسألتكم من إخوانكم فقد خنتموه ثم قرأ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

وكذلك كان شأنه في المدينة، فقد كان يدخل مسجد رسول الله حيث يجتمع القصاصون المرتزقة والوعاظ الكذبة الذين يشترون بسب أمير المؤمنين حطاماً قليلاً من دنيا بني أمية، مضللين بأقوالهم وأكاذيبهم تلك جموع الناس.. فيقول لهم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾[2].

وإذا كان يحيى في خط البراءة صلب المواجهة شجاع النفس فقد كان في خط الولاية قوي الإيمان، فلم يكن ليدع الدعوة إلى خط أهل البيت، ما وسعه ذلك، فقد استطاع أن يؤثر على أبي

(١)أصول الكافي ٢/ ٣٨٠.

(٢)معجم رجال الحديث ٢٠/ ٣٥.

خالد الكابلي، ولم يكن قبلئذ في خط الإمامة، حتى أدخله على زين العابدين، واختص به حتى أصبح من حوارييه المقربين.. ولنسمع ما يرويه أبو خالد عن كيفية اعتناقه مذهب أهل البيت:

لقيني يحيى ابن أم الطويل ـ رفع الله درجته ـ وهو ابن داية[١] زين العابدين عليه السلام فأخذ بيدي وصرت معه إليه فرأيته جالسا في بيت مفروش بالمعصفر مكلس الحيطان عليه ثياب مصبغة فلم أطل عليه الجلوس فلما نهضت قال لي: صر إليّ في غد إن شاء الله تعالى فخرجت من عنده، وقلت ليحيى أدخلتني على رجل يلبس المصبَّغات؟ وعزمت على أن لا أرجع إليه، ثم إني فكرت في أن رجوعي إليه غير ضائر فصرت إليه في غد، فوجدت الباب مفتوحا ولم أر أحدا فهممت بالرجوع فناداني من داخل الدار، فظننت أنه يريد غيري، حتى صاح بي: يا كنكر ادخل.. وهذا اسم كانت أمي سمتني به ولا علم أحد به غيري، فدخلت إليه فوجدته جالسا في بيت مطيّن على حصير من البردي وعليه قميص كرابيس، وعنده يحيى (ابن أم الطويل) فقال لي: يا أبا خالد إني قريب العهد بعرس وأن الذي رأيت بالأمس من رأي المرأة ولم أرد مخالفتها..[٢].

ثم بدأ يبين له من علمه وكراماته ما كفاه دليلا على إمامته فتبعه وأصبح من خيرة أصحابه.. وكان ذلك بسعي يحيى وجهده

---

(١)كانت أم زين العابدين قد ماتت في نفاسها به.

(٢)بينا طريقة أهل البيت في حياتهم الزوجية بالتفصيل في كتابنا الحياة الشخصية عند أهل البيت ـ فليراجع.

في استقطاب أبي خالد لهذا التجمع.

حين انتخب يحيى ابن أم الطويل طريق أهل البيت كان قد اتخذ ليوم فاقته في الآخرة جلباباً، وفي ظلماتها ضياء ودليلا، وكان يعلم ثمن ذلك.. خصوصاً وأنه كان طلقة الرسالة التي مزقت رداء القمع الأموي، وصوت الحق الذي كان يعلو فوق صوت الظالمين، الشاتمين لأمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن في ذلك ليخاف لومة لائم..

ولم يزل معاوية وعمّاله دائبين على ذلك ـ شتم أمير المؤمنين ـ

«حتى تمرن عليه الصغير وهرم عليه الشيخ الكبير» ولعلّ في أوليات الأمر كان يوجد هناك من يمتنع عن القيام بهذه السبة المخزية وكان يسع لبعض النفوس الشريفة أن يتخلف عنها غير أن شدة معاوية الحليم! في إجراء أحدوثته وسطوة عمّاله الخصماء الألدّاء على أهل بيت الوحي وتهالكهم دون تدعيم تلك الإمرة الغاشمة، وتنفيذ تلك البدعة الملعونة، حكمت في البلاء حتى عمّت البلوى وخضعت إليها الرقاب وغالتها أيدي الجور تحت الذلّ والعدوان فكانت العادة مستمرة منذ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى نهي عمر بن عبد العزيز طيلة أربعين سنة على صهوات المنابر في الحواضر الإسلامية كلها من الشام إلى الري إلى الكوفة إلى البصرة إلى عاصمة الإسلام المدينة المشرفة إلى حرم أمن الله مكة المعظمة إلى شرق العالم الإسلامي وغربه، وعند مجتمعات المسلمين جمعاء.. قال ياقوت في معجم البلدان: لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق

والغرب ولم يلعن على منبر سجستان إلاّ مرة وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يلعن على منبرهم أحد. وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله عليه السلام وهو يلعن على منابر الحرمين: مكة والمدينة..

وقد صارت سنة جارية ودعمت في أيام الأمويين.. سبعون ألف منبر يلعن فيها أمير المؤمنين عليه السلام واتخذوا ذلك كعقيدة راسخة أو فريضة ثابتة أو سنة متبعة[1] وكانت هذه السياسة تحتاج إلى رجل شجاع.. مثل يحيى الذي لم يتوقف فقد كان يظهر شخصه، ومذهبه، ويتصدى و (يظهر الفتوة)، فطلبه الحجاج بن يوسف الثقفي، وقال له: تلعن أبا تراب (يقصد أمير المؤمنين)، وكان الجواب معروفا سلفا، ذلك أن يحيى الذي كان يقصد الكوفة فيلعن على رؤوس الأشهاد من يشتم أمير المؤمنين، ويقصد المدينة فيصنع كذلك، كيف يمكن أن يستجيب؟!.

وهكذا قدمه الحجاج، وأمر بقطع يديه ورجليه فمضى شهيدا إلى رحمة الله.

---

(١)الغدير ١٠/ ٢٩٦.

سعيد بن جبير

العمر: ٤٩ سنة

الوفاة: سنة (٩٤) قتلاً بيد الحجاج الثقفي

«فلمّا قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول: قيودنا قيودنا فظنوا أنه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود».

ابن الأثير

«ما لي ولسعيد بن جبير؟!».

ويفيق فزعا، بعد أن يرى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يريد أن يخنقه.. ها هو يقترب، يضع كلتا يديه على حلقي، يضغط، ويضغط.. النجد ة، ال.. ن.. ج..

وينادي رئيس الحرّاس: عليك اللعنة أين الحرس؟!

ـ بأمرك يا مولاي!!

ـ كيف لم يروا هذا الداخل؟ ولماذا لم يمنعوه؟ ألم يسمعوا صوتي؟! لقد كان يخنقني!.

وينظر رئيس الحراس في أعين الموجودين مستعلماً، فلا يجد

إلاّ الاستفهام.. عمن يتحدث الحجاج بن يوسف الثقفي؟! والي العراقين؟! أتراه في النزع يرى صورة ملك الموت، الموت الذي طالما بعثه على بيوت الآخرين.. وهل يمكن لأحد من الحراس أن يدفع عزرائيل؟!.

هل صحيح أن من أرى أمامي هو الحجاج الذي كان اسمه يثير الرعب في أعين الصغار والكبار؟! وهل هو الذي كان يرى «رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وأنه لصاحبها»؟! لماذا يبدو هكذا مصفر اللون من الفزع غريق الوجه من العرق، تتلكأ الكلمات على شفتيه الذابلتين كأنها تعبر حقول ألغام؟!.

ـ لم يدخل أحد يا مولاي والحراس جميعا كانوا يقظين!!.

ـ بل دخل في حلة بيضاء، وكاد يخنقني!! ويلي من سعيد بن جبير..

وهكذا عاش الحجاج الثقفي الأشهر الستة الباقية من عمره بعد قتله سعيدا يتنقل من كابوس مزعج إلى آخر أشد إزعاجا، ولقد قتل في هذه الليالي بكوابيسها بعدد من قتل من خيرة الصالحين. وانتقم سعيد بن جبير لآلاف الضحايا والشهداء، من الحجاج في حياته قبل أن ينشر للحساب الإلهي.

ترى من هو سعيد بن جبير؟!.

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي (ولاء)، مولى بني والبة بن الحارث. ولد في الكوفة فغرست في أرض قلبه أشجار حب أهل البيت عليهم السلام، وتنقل لأخذ العلم بينها وبين مكة والمدينة، فأخذ

عن الإمام زين العابدين عليه السلام وكان يأتم به[١]، وأخذ علم التفسير عن ابن عباس فقال له: حدّث!.

فقال: أأحدث وأنت هنا؟!.

قال ابن عباس: أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك[٢].

ذلك الغرس وهذا التعلم، جاء على أرض صالحة، فنبغ سعيد حتى صار أجمع أقرانه لعلوم القرآن والفرائض، ورافق كل ذلك ولاء كبير لأهل بيت النبوة كان يعتمل في قلب سعيد حتى قيل إن الحجاج إنما قتله لتهالكه في ولاء آل الرسول، وكما كان يتقن فن (التولي لأولياء الله) باعتباره من فروع الدين والعقيدة، فقد كان أيضا (يتبرأ من أعداء الله) فقد كان يوجه قوارص نقده، ولواذع كلامه للحكم الأموي المتسلط، خصوصا لما كان ومعه سائر الناس يرون ويسمعون من تجاهر الحجاج واستهزائه بالمقدسات، أليس هو القائل: أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته؟! قالوا: بل خليفته في أهله! قال: أمير المؤمنين عبد الملك خليفة الله، ومحمد رسول الله فأيهما أكرم؟! وأليس القائل وهو خارج عن العراق:ـ إني قد استعملت عليكم محمدا وبه الرغبة عنكم. وقد أوصيته فيكم بخلاف وصية رسول الله بالأنصار فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز

(١)أعيان الشيعة/ ٢٣٥.
(٢)وفيات الأعيان/ ٣٧١.

عن مسيئكم!![(١)].

ولذلك كان سعيد بن جبير، يتبعه عدد كبير من القراء والفقهاء، من المبادرين للانضمام إلى ثورة عبد الرحمان بن محمد الأشعث، فقد وجدوا فيها إعلانا معارضة لسياسة بني أمية وشخص الحجاج الثقفي. ويبدو أن العنصر المشترك الذي كان يجمع كل هؤلاء الثائرين على اختلاف انتماءاتهم كان، معارضتهم لبني أمية وللحجاج. فها هو جبلة بن زحر ينادي في الثائرين:

«يا معشر القراء.. إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين واتاه الله ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون أنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه اليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه».

وقاتل حتى قتل.. وكان سعيد بن جبير وأبو البختري الطائي يحملان على أهل الشام حتى يخالطاهم[(٢)].

---

(١)مروج الذهب ٣/ ١٥٤.
(٢)الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٨٠.

وهكذا شهد سعيد صعود نجم الحجاج مرة أخرى، بقضائه على ثورة القراء والكوفيين بقيادة ابن الأشعث، فتسلل إلى أصفهان فأقام بها حيناً، وجاءت غربان الشؤم للحجاج بخبر وجود سعيد في أصفهان، فكتب إلى عاملها أن يأخذه ويرسله إليه، وبدلا من ذلك قام ذلك العامل بأخبار سعيد، بأن يفارق أصفهان، ففارقها عائدا إلى مكة المكرمة حيث حرم الله الآمن، فكان هو فيها وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحداً بأسمائهم[1]. وهكذا بينما يأمن المنحرفون والمحلون، يعيش أولياء الله في خوف وهجرة واختفاء!.

وولي خالد بن عبد الله القسري مكة المكرمة، وهو الذي بنى لأمه النصرانية كنيسة في قصره في مكة، فكانت تسمع صوت الناقوس بجوار المسجد الحرام، من بيت الوالي الأموي على مكة المكرمة؟! وهو الذي مليء قلبه بغضاً لعلي عليه السلام وأتباعه، حتى طلب من أحد النسابة أن يكتب له عن أنساب قريش شرط أن لا يكون ذكر علي عليه السلام في هذا الكتاب!!. ولم يرق خالداً القسري أن تستمر حياة العالم العامل الموالي لأهل البيت ابن جبير، كيف وهل يجتمع مع الظلمة نور؟! فأخذه وبعث به إلى الكوفة، حيث مقر الحجاج.

وهكذا قدم سعيد يرسف في قيوده... ودخل على الحجاج.

ـ فقال له الحجاج: ما اسمك؟.

---

(١) المصدر / ٥٧٩.

ـ قال: سعيد بن جبير.

ـ بل أنت شقي بن كسير.

ـ بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

ـ شقيت أمك وشقيت أنت.

ـ الغيب يعلمه غيرك!.

ـ لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظّى.

ـ لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها.

ـ فما قولك في محمد؟!.

ـ نبي الرحمة وإمام الهدى.

ـ فما قولك في علي؟ أهو في الجنة أم في النار؟.

ـ لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها.

ـ فما قولك في الخلفاء؟.

ـ لست عليهم بوكيل.

ـ فأيهم أعجب إليك.

ـ أرضاهم لخالقي.

ـ فأيهم أرضى للخالق؟!.

ـ علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

ـ أحب أن تصدقني.

ـ إن لم أصدقك لن أكذبك.

ـ فما بالك لم تضحك؟!.

ـ وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار؟!.

ـ فما بالنا نضحك؟.

ـ لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه، فقال سعيد له: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، و إلاّ ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد، فقال الحجاج: ما يبكيك؟! هو اللعب! فقال سعيد: هو الحزن. أما النفخ فذكرني يوما عظيما يوم النفخ في الصور وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فمن الشاء تنبعث معها يوم القيامة.

قال الحجاج: ويلك يا سعيد!.

فقال سعيد: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

ـ اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟ ا.

ـ اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة إلاّ قتلك الله

مثلها في الآخرة.

ـ أفتريد أن أعفو عنك؟!.

ـ إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

ـ اذهبوا به فاقتلوه!!.

فلما خرج ضحك.. فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده، فردّ فقال له الحجاج: ما أضحكك؟!.

قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

فأمر بالنطع فبسط وقال: اقتلوه.

فقال سعيد: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

ـ وجّهوا به لغير القبلة!!.

ـ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾

ـ كبّوه لوجهه.

ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

ـ اذبحوه.

ـ أما إني أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة..

ورفع يده بالدعاء: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي..[1].

وتدحرج الرأس على النطع..

ولم يسلطه الله على أحد بعد سعيد إذ أن هلاكه كان بعد شهادة سعيد بفترة وجيزة..

«ورئي الحجاج في النوم بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟. قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة».

---

(١)وفيات الأعيان، هامش ٢/ ٣٧٣.

جابر بن عبدالله الأنصاري

توفي سنة ٧٨ هـ في المدينة المنورة

عمره ٩٤ سنة

منذ اليوم الأول الذي التقى فيه برسول الله ﷺ في العقبة مرافقاً لأبيه كان يجد منه اهتماماً خاصاً به، ومباركة، وكان هذا الإحساس يغمره بالرضا، والحب العميق للرسول ﷺ.

لو لم يكن لرسول الله إلاّ تلك الأخلاق العالية لكفى بها دليلاً على نبوته، واتصاله بالخالق، كيف وهو يحمل المعجزة الخالدة: القرآن الكريم، ويحمل عدداً آخر من المعاجز التي تكفي كل واحده منها لهداية من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن الشجرة اليابسة التي لم ترَ الماء منذ سنين، لتتحول بلمسة من أنامله إلى أخرى مثمرة خضراء، وأن القليل من الطعام الذي لا يكفي لعدة أشخاص يتحول بين يديه المباركتين إلى مائدة يصدر منها العسكر الكبير شبعى. ففي الخندق شاهد جابر من بركات الرسول ﷺ ما ينقله إلينا:

عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق فكانت عندي شويهة غير جدّ سمينة فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ فأمرت

امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله، فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الانصراف عن الخندق ـ وكنا نعمل فيه نهارنا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ـ قلت: يا رسول الله إني صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي.. وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده.

فلما قلت له ذلك، أمر صارخاً فصرخ: أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله!.

قلت: إنا لله و إنا إليه راجعون!.

فأقبل رسول الله وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها إليه فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها[1].

ولم تكن هذه الحادثة الوحيدة. بل كان الرسول دأبه السؤال والتفقد لأحوال أصحابه فقد سبقها أخرى في غزوة ذات الرقاع..

يقول جابر:

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله فقال:

---

(١)السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٢٩.

ـ ما لك يا جابر؟.

ـ يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا.

ـ أنخه..

فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال:

ـ أعطني هذا العصا من يدك أو اقطع لي عصا من شجرة.. ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ، فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب! فركبت فخرج ـ والذي بعثه بالحق ـ يواهق ناقته مواهقة.

وتحدثت مع رسول الله فقال لي:

ـ أتبيعني جملك؟!.

ـ بل أهبه لك يا رسول الله.

ـ لا. ولكن بعنيه.. فقلت:

ـ فسمنيه يا رسول الله.

ـ قد أخذته بدرهم.

ـ لا. إذن تغبنني يا رسول الله.

ـ فبدرهمين!.

ـ لا.. فلم يزل يرفع لي رسول الله في ثمنه حتى بلغ الأوقية (٤٠ درهماً).

فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟.

قال: نعم.

ـ فهو لك. فقال: قد أخذته.

ثم قال لي: يا جابر: هل تزوجت بعد؟! قلت: نعم يا رسول الله!.

قال: أبكراً أم ثيباً؟! قلت: لا. بل ثيباً.

قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟!.

قلت: إن أبي أصيب يوم أُحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن.

قال: أصبت إن شاء الله، أما أنا لو قد جئنا صراراً[1] أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها.

قلت: يا رسول الله ما لنا من نمارق.

قال: إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً.

فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل ودخلنا.. فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله قالت: فدونك فسمع وطاعة.

---

(١)صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه. وخرج رسول الله فرأى الجمل، فقال ما هذا؟! قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر؟.

فدعيت له. فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك، ودعا بلالاً فقال: اذهب بجابر فاعطه أوقية، فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيراً، فو الله مازال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب يوم الحرة[1].

إنه ﷺ يتفقد حال أصحابه ويسألهم عن أوضاعهم، ويسعفهم في ذلك ما وسعه قدرته.. وكم هو حبيب ذلك القائد الذي يتفقد أحوال أصحابه ويسألهم عن أمورهم الشخصية؟! فكيف إذا كان هذا المتفقد رسول الله وأعظم الأنبياء، إن مجرد سؤاله ﷺ ليشبع جابراً بشعور الرضا حتى لو لم يصنع له شيئاً، فكيف إذا أضيف إلى هذا قضاء الرسول لحوائج جابر!! فلندع جابراً يتحدث ـ وقد عرف بين الرجاليين بصدقه وكثرة حديثه عن النبي ﷺ ـ:

لما انصرفنا راجعين ـ يعني من غزوة ذات الرقاع ـ فكنا بالسفرة قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر ما فعل دَينُ أبيك؟!.

قلت: يا رسول الله هو عليه.. انتظر أن نجذ نخله.

فقال: إذا جذذت فأخبرني، واعزل العجوة على حدتها

---

(١)السيرة النبوية ٣/ ٢١٨.

وألوان التمر على حدتها.. ثم قال: من صاحب دين أبيك؟!.

قلت: أبو الشحم اليهودي له على أبي تبعة من تمر..

فجعلت الصيحاني على حدة وأمهات الحدادين على حدة، والعجوة على حدة ثم عدت إلى جماع من التمر على اختلاف أنواعه وهو أقل التمر فجعلته جبلاً واحداً، فلما نظر رسول الله إلى التمر مصنفاً، قال: اللهم بارك له. ثم انتهى إلى العجوة فمسها ومس أصناف التمر ثم قال: ادع غريمك! فجاء أبو الشحم فاكتال حقه كله جبل واحد وهو العجوة، فقال: يا جابر هل بقي على أبيك شيء.

قلت: لا.. و بقي سائر التمر فأكلنا منه دهراً وبعنا منه حتى أدركت الثمرة من قابل، ولقد كنت أقول لو بعت أصلها ما بلغت ما على أبي من الدين. فلقد رأيتني والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لي: ما فعلت في دَين أبيك؟ فقلت: قد قضاه الله فقال: اللهم اغفر لجابر، فاستغفر لي في ليلة خمساً وعشرين مرة[1].

❁❁❁

و تابع جابر بن عبد الله الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع مواقفه في حربه حيث جميع غزواته عدا بدر وأُحد حيث خلفه أبوه على النساء، وفي سلمه حيث أصبح من الملازمين للرسول والمتعلمين على يده، ولذلك فهو من (المكثرين الحفاظ للسنن)..

---

(١)أعيان الشيعة ٤٨/٤.

كـان يـرى أن عـدداً مـن الـصحابة قـد ألهـاهم الـصفق في الأسواق، والتجارة عن متابعة حديث رسول الله، والاغتراف من معين علمه، وكان يرى أي حظ أضاعوه، أما هو فكـان لا يتـرك مناسبة للانتفاع من حديث الرسول إلاّ واقتنصها.

بل أنه عندما توفي رسول الله ﷺ كان يتتبع أحاديثه الـتي لم يسمعها مباشرة ويسافر إلى المناطق المختلفة لكـي يحـصل علـى حديث صحيح عن الرسول لم يسمعه.

مرافقته تلك للرسول وتتبعـه لآثـاره، جعلـه يحـدد بـشكل دقيق جهة المسار الصحيح بعد وفاة رسول الله ﷺ فأصبح مـن خلّص أصحاب أمير المؤمنين، الداعين إليه والناشرين لفـضائله. فقد كان يمر على سكك المدينة ومجالسهم ويقول:

«علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، معاشر الأنـصار أدّبـوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب فمـن أبى فلينظـر في شـأن أمه»[1].

وحين يسأله أحدهم: أخـبرني أي رجـل كـان علـي بـن أبي طالب؟!

يجيبه:

ـ ذلك خير البشر أما والله أن كنـا لنعـرف المنـافقين علـى عهد رسول الله ﷺ ببغضهم إياه.

---

(١)أعيان الشيعة ٤/ ٤٦.

ولم يكن جابر يفعل ذلك انطلاقاً من العواطف المجرّدة، وإنما كان يرى أن عليه مسؤولية توضيح الخط الرسالي الرشيد للأمة، والقادر على إنقاذها من الأخطاء، إذ أنه منذ سمع من رسول الله، تعيين الله لعلي عليه السلام وصيّاً للرسول.. فقد وجد مسؤوليته في تبليغ هذا الحديث، فقد قال جابر:

أتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله من وصيك؟!.

فأمسك عني عشراً لا يجيبني، ثم قال: يا جابر ألا أخبرك عمّا سألتني؟!.

فقلت: بأبي وأمي أنت، أما والله لقد سكت عني حتى ظننت أنك وجدت (غضبت) عليّ.

فقال: ما وجدت عليك يا جابر ولكن كنت أنتظر ما يأتيني من السماء فأتاني جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن علي بن أبي طالب وصيّك وخليفتك على أهلك وأمتك، والذائد عن حوضك وهو صاحب لوائك يقدمك إلى الجنة.

فقلت: يا نبي الله.. أرأيت من لا يؤمن بهذا أقاتله؟!.

قال: نعم يا جابر ما وضع هذا الموضع إلاّ ليتابع عليه فمن تابعه كان معي غداً ومن خالفه لم يرد عليّ الحوض أبداً[1].

ومن خلال هذا الفهم شارك جابر في حروب أمير

(١)الأمالي للشيخ المفيد / ١٦٨.

المـؤمنين عليه السلام. كـان في مـسألة التـولي لأوليـاء الله قويـاً صـلباً، فكذلك في جانب التبري من أعداء الله، فقد وجـه معاويـة لـه ـ بعد شهادة أمير المؤمنين ـ بستمائة دينـار. وكانـت هـذه طريقـة معاوية في شراء ضعفاء النفوس، والمنهزمين أمام المـال والـذهب حيث يتغير موقفهم تبعاً لضخامة الصرة المرسلة..

فلما جاء بها الرسول، ردّها وكتب إليه:

وإني لأختار القنوع على الغنى وفي الناس من يقـضي عليـه ولا يقضي

وألبس أثواب الحياء وقد رأى مكـان الغـنى أن لا أهـين لـه عرضي

وقال لرسوله: قل لـه والله يـا ابـن آكلـة الأكبـاد لا تجـد في صفيحتك حسنة أنا سببها أبداً.

❀❀❀

وإذا كان جابر قد كفّ بصره في أواخر عمره، فقد كان نافذ البصيرة، ولذلك تابع موقفه موالياً لأهل البيـت علـى بيّنـة مـن أمره، وهو وإن لم يشترك في معركة كـربلاء لهـذا الـسبب إلاّ أنـه كان يرى نفسه ـ بما يلتزم به من فكر، وما يقوم به من دعوة لخط أهل البيت ـ أحد المشاركين في تلك المعركة.

فقد جاء جابر إلى كربلاء حيث وقعت تلك المعركة الدموية بين قلة الحق وغثاء الباطل، وانتـصر فيهـا للحـق والقـيم أهـل الحق، بينما راحت رؤوسهم على أطراف الرماح مؤكـدة عمـق الانحراف الحاصل في قيادة الأمة لإزاحة أهل البيت عنها..

لكن حزن جابر كان لا يعادله حزن، بينما كان يرى الحسين عليه السلام على صدر رسول الله مرة وعلى كتفه أخرى، يقبله ويداعبه، وإذا به يراه تحت التراب بعد أن طعمت منه السيوف والرماح..

ها هو عطية العوفي، صاحب جابر ودليله يحدثنا عن تلك الأحداث: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائراً قبر الحسين عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطىء الفرات فاغتسل ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلاّ ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه فألمسته إياه فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء فلما أفاق قال: يا حسين يا حسين ـ يا حسين.

حبيب لا يجيب حبيبه.. وأنّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك وفرق بين رأسك وبدنك. أشهد أنك ابن خير النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حيّاً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في حياتك فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جاء ببصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين وأناخت برحله أشهد أنكم قد أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.. والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية.. فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟!.

فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحب قوماً حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه.

قال عطية: فبينما نحن كذلك و إذا بسواد قد طلع من ناحية الشام، فقلت: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام.

فقال جابر لعبده: انطلق إلى هذا السواد وائتنا بخبره فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلّنا نلجأ إلى ملجأ وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

مضى العبد فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول:

يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته.

فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من

زين العابدين عليه السلام فقال الإمام: أنت جابر؟.

ـ نعم يا ابن رسول الله.

ـ يا جابر ها هنا والله قتلت رجالنا وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا[1].

وعاد جابر كما عاد زين العابدين إلى المدينة المنورة، وكان يرى في زين العابدين صورة أخرى عن جده رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام، ويغدو عليه في كل يوم لينتهل من معين علمه، ويقتدي بحسن فعاله، وكان الإمام السجاد عليه السلام وقد رأى سيطرة البغي الأموي، ووحشيته في أسوأ صورها في كربلاء، كان يشهد صورة أخرى من انتهاك الأمويين لحرمة المدينة بعد انتهاك حرمة آل الرسول، وكان من الممكن أن تهتز صورة الإيمان في النفوس.

لهذا رأى عليه السلام أن إعادة التوازن للأمة والذي اختل بفعل الانتهاكات الأموية يجب أن يبدأ بترسيخ معاني العبادة وتوثيق علاقة العباد مع خالقهم.. فكان القدوة المثلى في هذا الأمر، فقد انقطع إلى العبادة والدعاء حتى حاز على لقب (زين العابدين) بلا منازع..

ولما نظرت فاطمة بنت الحسين إلى شدّة اجتهاد أخيها في العبادة خافت عليه من الهلاك فجاءت إلى جابر بن عبد الله فقالت له:

---

(١)أعيان الشيعة ٤/ ٤٧.

يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقاً، من حقنا عليكم أنكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه، إدءاباً منه لنفسه في العبادة.

وجاء جابر إلى زين العابدين.. وكان في محرابه قد أنضته العبادة، فنهض له الإمام وسأله عن حاله سؤالا حفيّاً، فأقبل عليه جابر يقول: يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم؟ فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟!.

فقال الإمام: يا صاحب رسول الله أما علمت أن جدي رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد وتعبد ـ بأبي هو وأمي ـ حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟.

ولما رأى جابر ذلك من زين العابدين، ناشده بتوسل: يا ابن رسول الله! البقيا على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، ويستكشف اللأواء، وبهم يستمطر السماء!!.

فقال الإمام: يا جابر لا أزال على منهاج أبوي مؤتسياً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما.

وخرج جابر وهو يقول لمن رآه: والله ما أرى في أولاد الأنبياء بمثل علي بن الحسين إلاّ يوسف بن يعقوب، والله لذرية علي بن

الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[(١)].

ولأن جابراً كان يعرف أئمة أهل البيت عليهم السلام واحداً بعد الآخر بنص الرسول لذلك كانت خطواته تتبع هؤلاء، وكان آخر من أدركه الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.. فكان يأتي إليه ويتعلم منه بينما كان الناس يظنون أنه يعلّم الباقر عليه السلام، ولعلّ هذا اللقاء اليومي بين الإمام وجابر كان مفيداً من الطرفين ذلك أن عدداً ممن كانوا لا يؤمنون بالإمام الباقر، كان الإمام يسند أحاديثه وعلمه- أمامهم- إلى جابر، لأنهم لم يكونوا يستطيعون استيعاب فكرة كون علم الإمام من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ولذلك نجد أن عدداً من أحاديث الإمام الباقر عليه السلام تسند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من خلال جابر الأنصاري.

كل ذلك بينما كان جابر يتعلم من باقر علوم الأولين والآخرين ومن مخازن معرفته فقد ذهب الإمام الباقر عليه السلام لزيارته لما ابتلي في آخر عمره بالضعف والكبر، وسأله عن حاله، فقال جابر: أنا في حال.. الكبر أحبّ إليّ من الشباب والمرض أحبّ إليّ من العافية والموت أحب إليّ من الحياة.

فقال له الإمام الباقر عليه السلام: أما أنا فأحب إليّ الحالة التي يختارها الله لي من الشباب والكبر والمرض والعافية والحياة والموت.

---

(١)بحار الأنوار ٤٦/ ٦١.

فلما سمع جابر ذلك أخذ يد الباقر عليه السلام وقبّلها وقال: صدق رسول الله.

نعم.. صدق رسول الله فقد حمله رسالة وسلاماً إلى باقر علوم الأولين والآخرين.

سليمان بن صرد الخزاعي

الوفاة: سنة ٦٥ شهيداً في عين الوردة

العمر: ٩٣ سنة

«عباد الله.. من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليّ..»

سليمان بن صرد

لئن أسدل الستار على (الحسين شهيداً)، في عصر يوم العاشر من محرم، فلايزال الكثير من فصول (الحسين ثائراً).. ذلك أن تلك الشهادة، بما رافقها من مقدمات بطولية، ونتائج مأساوية، صنعت انفجاراً عنيفاً في ليل صمت الأمة، وهزة قوية لكل القلوب، التي راحت وهي في دهشة مما جرى، تبحث عن طريق لاستمرار النهج الحسيني، وهكذا بقيت فصول كثيرة من (الحسين ثائراً) تنتظر الظرف المناسب لكي تخرج إلى الأمة..

سرعان ما أفاقت جماهير الأمة على حقيقة أن لا حرمة لها، ولا شخصية لوجودها بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام، وأن لا وجود حتى لقشر الإسلام لدى ولاتها الحاكمين، ولذلك لا بد لها من (يا لثارات الحسين).

وكان أول من أدرك هذا التحول سليمان بن صرد الخزاعي، صاحب رسول الله الذي غير اسمه من(يسار) إلى (سليمان)،

وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام إذ شهد معه مشاهده، وصاحب الحسنين..

إن القدر كان يدّخره لهذا التحول وهذا الدور، لقد كان يحرص ـ بعد أن كاتب الإمام الحسين عليه السلام معلناً بيعته له ومن معه من شيعة الكوفة ـ كان يحرص على الالتحاق بالإمام في كربلاء، إلا أن سرعة مجيء عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وقيامه بسجن كبار القوم من شيعة أهل البيت، جعل سليمان في رأس قائمة المطلوبين، وهكذا وجد نفسه في سجن الكوفة، رهين حراسة مشددة، وتعليمات صارمة للسجانين، بأن يعطوا سجناءهم طعاماً يوماً، ويوماً يحرمونهم..

لقد كان يدخر ليوم آخر بالرغم من حرصه أن يشهد كربلاء، إلاّ أنه ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

ها هو يتقطع ألماً، وحزناً وهو يسمع من العائدين أخبار عاشوراء، وتفاصيل البطولة والمأساة.. وكان يعتمل تحت ذلك الألم شعوراً بضرورة الاستمرار في خط الثورة الحسيني، ويحتاج ذلك إلى رجل، قد أعطى ظهره للحياة، لا يرجو من حركته سوى أن يسمع الأعداء صوت الحسين من جديد.. ويعيد إلى الأذهان صورة الرؤوس المرفوعة على أطراف ا لأسنة، ومشاهد الشفاه الذابلة من العطش..

كان الوضع يحتاج إلى من يخترق مجرى الحياة العادية، حيث يتعايش القاتل والمقتول وينسى فيه الضحية المجرم، مع أن سيف الإجرام لا يزال يقطر بالدماء الزاكية.

ولم يكن هناك أفضل من سليمان، فبالرغم من سنه التي قاربت التسعين إلاّ أن له همة تقصر عنها همم الشباب، وتضحية أقل ما تعطيه النفس..

إنه لا يستطيع أن يرى قتلة الحسين عليه السلام يسرحون ويمرحون في الكوفة، وكأنهم كانوا في رحلة قنص بري!! سوف يكون هذا العمل ـ لو تم ـ بادرة خيرة تحذر أهل الباطل من التمادي في غيهم.. وما الذي يؤخره عن هذه المهمة، فلا أنسب من هذا الوقت، ذلك أن ابن زياد عاد إلى البصرة، وقد وردت الأنباء بهلاك يزيد بن معاوية، وانتقض ما أبرمه معاوية، وثار عبد الله بن الزبير في الحجاز، وانتهت السلطة المركزية..

وكان الشعور بالذنب ـ بالرغم من كونهم لم يرتكبوه ـ والإحساس بفداحة الخسارة التي حلت بشهادة الحسين، لدى عدد كبير من شيعة أهل البيت في الكوفة.. وكان الجميع يفكر فيما يفكر فيه سليمان..

❁❁❁

قد لا تستطيع أن تضيء العالم، ولكن بدلاً من لعن الظلاّم، بيأس أوقد شمعة فلا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، وحيث لا تستطيع أن تقاوم كل جنود الانحراف فـ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾

والذين يتعللون، بعدم القدرة تارة، وبضخامة عدة العدو وعدده، و«يتسللون منكم لواذاً» هؤلاء إنما «يخدعون أنفسهم».. إن شمعة من هذا، وإضاءة من ذاك، وصرخة من ثالث، وانتفاضة

من رابع، سوف تخلق تيار الوعي والحركة في عقل الأمة وروحها.

وكما أن جسم الأمة عندما يصيبه الضعف والمرض فهناك حاجة إلى طبيب يداوي، فإن روحها إذا أصيبت بمرض التراجع أو الاستسلام فإنها تحتاج إلى دم شهيد، ينفض عن روحها تلك الآثار، حيث لا يستطيع غير العمل البطولي الاستشهادي صنع ذلك..

لما قُتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنُّخَيْلَة ودخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندُّم، ورأت أن قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم نصرته وإجابته حتى قُتل إلى جانبهم، ورأوا أنّه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلاّ قتل مَنْ قتله أو القتل فيهم، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة: إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، وكانت له صحبة، وإلى المُسيّب بن نَجَبة الفزاريّ، وكان من أصحاب عليّ، وإلى عبد الله بن سعد بن نُفَيْل الأزديّ، وإلى عبد الله بن وال التيميّ، تيم بكر بن وائل، والى رفاعة بن شدّاد البَجَليّ، وكانوا من خيار أصحاب عليّ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرد الخزاعيّ، فبدأهم المسيّب بن نَجَبة فقال بعد حمد الله:

أما بعد فإنا ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول عنه غدا «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» فإن أمير المؤمنين عليا قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة، وليس فينا رجل الاّ وقد بلغه، وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا فوجدنا الله كاذبين في كلّ

موطن من مواطن ابن بنت نبيّه ﷺ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله وأعذر إلينا فسألنا نصره عَوْداً وبدءاً وعلانيةً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألستنا ولا قوّيناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا عند ربنّا وعند لقاء نبينّا وقد قُتل فينا ولد حبيبه وذرّيّته ونسله؟ لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تُقْتَلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك، ولا أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن. أيّها القوم ولّوا عليكم رجلاً منكم فإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفّون بها.

وقام رِفاعة بن شدّاد وقال: أمّا بعدُ فإنّ الله قد هداك لأصوب القول وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب إلى قولك، وقلتَ: ولّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه وتحفّون برايته، وقد رأينا مثل الذي رأيتَ، فإن تكن أنتَ ذلك الرجل تكن عندنا مرضيّاً، وفينا منتصحاً، وفي جماعتنا محبوباً، وإن رأيتَ ورأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله ﷺ، وذا السابقة والقِدَم سليمان بن صرد الخزاعي، المحمود في بأسه ودينه، الموثوق بحزمه.

وتكلّم عبد الله بن سعد بنحو ذلك وأثنيا على المسيّب وسليمان. فقال المسيّب: قد أصبتم فولّوا أمركم سليمان بن صُرَد.

فتكلّم سليمان فقال بعد حمد الله: أمّا بعدُ فإنّي لخائف ألاّ يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدتْ فيه المعيشة وعظمت

فيه الرزيّة وشمل فيه الجورُ أولي الفضل من هـذه الـشيعة لمـا هـو خير، إنّا كنّا نمدّ أعناقنـا إلى قـدوم آل بيـت نبيّنـا صلى الله عليه وآله وسلم، نمنّـيهم النصر ونحثّهم على القدوم، فلمّا قدموا ونينـا وعجزنـا وأدهنّـا وتربّصنا حتى قُتل فينا ولد نبيّنا وسلالته وعصارته وبَـضْعة مـن لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل النَّصَف فلا يُعطى، اتّخذه الفاسقون غرضاً للنَّبل ودريئـة للرمـاح حـتى أقـصدوه، وعـدوا عليه. فسلبوه. ألا انهضوا، فقد سخط عليكم ربّكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرض الله، والله ما أظنّـه راضـياً دون أن تناجزوا مَنْ قتله، ألاّ لا تهابوا الموت فما هابـه أحـد قـط إلاّ ذلّ، وكونـوا كـبني إسـرائيل إذ قـال لهـم نبـيهم: ﴿إِنَّكُـمْ ظَلَمْـتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾... ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَـاقْتُلُوا أَنْفُـسَكُمْ﴾ ففعلـوا وجثوا على الركب ومدّوا الأعناق حين علموا أنهـم لا ينجـيهم من عظيم الذنب إلا القتل، فكيف بكم لو دعيتم إلى مـا دعـوا! أحدّوا السيوف وركبوا الأسنة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِـنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ حتى تدعو وتستنفروا.

فكان أول ما ابتدأوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة إحـدى وستين، فما زالوا بجمع آلـة الحـرب ودعـاء النـاس في الـسرّ إلى الطلب بدم الحسين، فكان يجيبهم النفرُ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستّين، فلما مات يزيـد جـاء إلى سـليمان أصـحابه فقـالوا: قـد هلـك هـذا الطاغيـة والأمـر ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريـث، وكـان خليفـة ابن زياد على الكوفة، ثمّ أظهرنـا الطلـب بـدم الحـسين وتتبّعنـا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم.

فقال سليمان بن صرد: لا تعجّلوا، إني قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جَزَراً لعدوّهم، ولكن بثّوا دُعاتكم وادعوا إلى أمركم. ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد.

استيقظت الكوفة سنة ٦٥ هـ على نداء هو الأول من نوعه، فقد أرسل سليمان اثنين من أصحابه فناديا فيها: يا لثارات الحسين.. فكانا أول خلق الله دعوا بهذا الشعار..

وخرج مع سليمان أهل البصائر والعازمون على الشهادة وتبعهم عدد آخر لما سمعوا النداء في الكوفة.

ثم قام سليمان في أصحابه فقال: أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيّاً وميتا، ومن كان إنّما يريد الدنيا فو الله ما نأتي فيئًا نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع، وما هي إلا سيوفنا على عواتقنا وزادٌ قدر البُلغة، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا. فتنادى أصحابه من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا.

ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين، فلمّا وصلوا صاحوا صيحة واحدة. فما رُئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحّموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة

يبكون ويتضرّعون ويترحّمون عليه وعلى أصحابه، وكان من قولهم عند ضريحه: اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد. المهديّ ابن المهديّ، الصّدّيق ابن الصّدّيق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصّدّيقين، و إنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له، فازدحم الناس عليه كازدحامهم على الحجر الأسود.

❁❁❁

لم يكن مهرجان الولاء والعشق الحسيني الذي أقامه التوّابون، دموعاً تراق لتنفيس الغضب والعقد كما يصنعه غير الواعين ولم يكن تعويضا عن العمل والفاعلية، إنما كان محطة تعبئة للروح وتأكيد على الهدف وتجديد للبيعة مع الخط الحسيني، لذلك ما أسرع أن تحول ذلك المهرجان إلى طاقة ثورية دافعة للشهادة.

وهكذا غادر التوّابون كربلاء إلى عين الوردة حيث سيواجهون عبيد الله بن زياد مع جنوده..

وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثمّ قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوّكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال

واصبروا إن الله مع الصابرين، ولا يولّينّهم امرؤٌ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة، ولا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإن هذه كانت سيرة عليّ في أهل هذه الدعوة.

ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيّب بن نَجَبة، فإن قتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نُفَيل، فإن قتل فالأمير عبد الله بن وال، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد، رحم الله امرأً صدق ما عاهد الله عليه.

ثمّ بعث المسيّب في أربعمائة فارس ثمّ قال: سر حتى تلقى أوّل عساكرهم فشنّ عليهم الغارة، فإن رأيت ما تحبّه و إلا رجعت، و إياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك ينزل ، أو يستقبل آخر ذلك، حتى لا تجد منه بدّاً.

فسار المسيب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا في جانب عسكرهم، فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالاً، فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب، وخلّى الشاميّون عسكرهم وانهزموا، فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا ثمّ انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادى الأولى، وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة، وسليمان في القلب، وجعل الحصين على ميمنته جملة بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنويّ، فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى

الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم وأنهم يخرجون مَن بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثمّ يرد الأمر إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى كل منهم، فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين، والميسرة أيضا على الميمنة، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فانهزم أهل الشام إلى عسكرهم، ومازال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل.

فلمّا كان الغد صبح الحصينَ جيشٌ مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف، أمدّهم بهم عبيد الله بن زياد، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالا لم يكن أشدّ منه جميع النهار لم يحجز بينهم إلا الصلاة، فلمّا أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين، وطاف القُصّاص على أصحاب سليمان يحرضونهم.

فلمّا أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهليّ في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا إلى ارتفاع الضحى، ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليّ! ثمّ كسر جفنة سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه، فقاتلوهم، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرّحوا فيهم فكثروا الجراح. فلمّا رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجّالة ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان،

رحمه الله، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع[1].

---

(١)تم الاعتماد على ابن الأثير ج ٤ في نقل أحداث الثورة.

نساء حول الإمام السجاد عليه السلام

أم عبد اللّه

فاطمة بنت الحسن المجتبى عليها السلام

أولاد الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشر ولدا ذكرا و أنثى: زيد بن الحسن و أختاه أم الحسن و أم الحسين أمهم أم بشير بنت أبي مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية و الحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية و عمرو بن الحسن و أخواه القاسم و عبد الله ابنا الحسن أمهم أم ولد و عبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد و الحسين بن الحسن الملقب بالأثرم و أخوه طلحة بن الحسن و أختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي و أم عبد الله و فاطمة و أم سلمة و رقية بنات الحسن ع لأمهات شتى[1].

أولاده عليه السلام ثلاثة عشر ذكرا و ابنة واحدة عبد الله و عمر و القاسم أمهم أم ولد و الحسين الأثرم و الحسن أمهما خولة بنت منظور الفزارية و العقيل و الحسن أمهما أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية و زيد و عمر من الثقفية و عبد الرحمن من أم ولد و طلحة و أبو بكر أمهما أم إسحاق بنت طلحة التيمي و أحمد و إسماعيل و الحسن الأصغر ابنته أم الحسن فقط عند عبد

(١)الارشاد.

الله و يقال و أم الحسين و كانتا من أم بشير الخزاعية و فاطمة من أم إسحاق بنت طلحة و أم عبد الله و أم سلمة و رقية لأمهات أولاد[١].

أبو طالب المكي في قوت القلوب أنه تزوج مائتين و خمسين امرأة و قد قيل ثلاثمائة و كان علي عليه السلام يضجر من ذلك فكان يقول في خطبته إن الحسن مطلاق فلا تنكحوه. وقال أبو عبد الله المحدث في (رامش افزاى) أن هذه النساء كلهن خرجن في خلف جنازته حافيات!!

روى محمد بن سيرين أنه خطب الحسن بن علي عليه السلام إلى منظور بن ريان ابنته خولة فقال و الله إني لأُنكحك و إني لأعلم أنك غلق طلق ملق[٢]!!!

---

(١)المناقب لابن شهرآشوب.

(٢) العجيب أنهم يروون أن الحسن تزوج خولة ولم يكن أبوها موجودا حيث أنها ثيب، بعدما قتل عنها زوجها محمد بن طلحة، فلما سمع أبوها جاء فلما سمع أبوها جاء إلى المدينة وركز رايته على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبق في المدينة قيسي إلا دخل تحتها، ثم قال: أمثلي يغتال عليه في ابنته؟ فقالوا: لا. فلما رأى الحسن عليه السلام ذلك سلم إليه ابنته فحملها في هودج وخرج بها من المدينة فلما صار بالبقيع قالت له: يا أبه أين تذهب إنه الحسن بن أمير المؤمنين علي عليه السلام وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟! فقال: إن كان له فيك حاجة فسيلحقنا، فلما صاروا في نخل المدينة إذا أبا لحسن والحسين وعبد الله بن جعفر قد لحقوا بهم فأعطاه إياها.. كما عن عمدة الطالب.. ولا ندري ولا من قالوا الخبر ـ كيف يجتمع في وقت

توضيح: رجل غلق بكسر اللام سيئ الخلق و رجل ملق بكسر اللام يعطي بلسانه ما ليس في قلبه و قال الجزري في حديث الحسن إنك رجل طلق أي كثير طلاق النساء.

❁❁❁

هل تستطيع عزيزي القارئ أن تجد مخرجا صحيحا من هذه النصوص؟

كيف يمكن لشخص عدت أولاده في أكثر ما قيل بأنهم سبعة عشر ولدا (بين ذكر وأنثى) وبين كونه قد تزوج ثلاثمائة (تنبه للرقم جيدا) ثلاثمائة امرأة، ويظهر أن ذلك كان بالنكاح لا بملك اليمين، كما هو مقتضى الحديث عن الزواج، فإنهم عادة يتكلمون عن الزوجات ثم يتكلمون عن الإماء وأنهن بملك اليمين لا بالنكاح!!

تصور شخصا فارغا من كل عمل يريد أن يتزوج ثلاثمائة امرأة (زواجا دائما).. فكم يحتاج من المال و الوقت لهذه المهمة؟ مع ملاحظة أنه لا يستطيع أن يجمع أكثر من أربع نساء في وقت واحد!! وأنه لكي يتزوج واحدة إضافية فإنه يحتاج إلى الانتظار ثلاثة أشهر حتى تخرج من عدتها ـ مع فرض أن الطلاق رجعي ـ! مع هذا الحساب سوف يحتاج إلى سنة كاملة لكي يكون

واحد أنه يخطب ابنته إليه، وفي نفس الوقت يكون غير موجود وبعترض عندما يعلم؟ وإذا كان قد أنكحه قبل ذلك وهو يعلم بما ذكر وأنك وأنك.. فلماذا يأخذ خولة ويخرج بها حتى صار إلى البقيع أو في نخل المدينة؟

بإمكانه الزواج بستة عشر امرأة، لو فرضنا انه يطلق أربعا في كل دفعة بتلك الصورة.. ويحتاج إلى عشرين سنة لا شغل له ولا عمل لكي ينجز هذه المهمة!! التي تتخللها حسابات واعتداد وملاحظة شروط الطلاق الشرعي من كونه بشاهدين عادلين في طهر غير طهر المواقعة والمرأة غير حائض.. الخ.

❀❀❀

ثم إننا نجد أن الروايات تنص على أن الله يبغض الرجل المطلاق الذواق، ويكون الإمام الحسن عليه السلام لو صحت رواية صاحب قوت القلوب، مصداقا لها فيكون مبغوضا لله والعياذ بالله! ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل يبغض كل مطلاق ذواق»[1]. هذا مع ملاحظة تعبير بعض ما نقل ـ وأحيانا عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ من أن الحسن مطلاق!!

ـ في بعض ما نقل أن «الحسن غلق ملق طلق» كلها على وزن (فَعِل) ومعناها سيء الخلق ومزدوج الشخصية وكثير التطليق.. فهل ترى أن أحدا كالإمام الحسن صاحب الهيبة والاجلال العظيم كما سترى بعد قليل في صفاته يقبل من شخص أن يصفه بهذه الأوصاف على مسمع منه ومنظر، ويتهجم عليه بأنه مزدوج الشخصية وأنه سيء الأخلاق ـ وهي صفات ليست فيه ـ ويقبل منه ذلك، من أجل أن يتزوج بنت ذلك الشخص الكذائي؟ أي مهانة أرادوها للحسن عليه السلام.. ثم هل ترى أن طبيعة شخصية الإمام الحسن عليه السلام تناسبها هذه

---

(١) الكافي ٥/ ٦٦.

الصفات؟

تعال واقرأ ما ذكر في صفات أبي محمد الحسن المجتبى، وهو قليل من كثير وغيض من فيض، فقد ذكر أن رسول الله ﷺ قال له:

«أشبهت خلقي وخُلقي» فهل تلك أخلاق رسول الله حتى يشابهه فيها؟ ونقل أن فاطمة سألت النبي أن ينحل ابنيها، فقال: «أما الحسن فله هيبتي وعلمي». ووصفهما بأنهما خير أهل الأرض بعده وبعد أبيهما.. أترى أن ثالث رجل في الأرض غلق ملق طلق؟ وأنه «ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ﷺ ما بلغ الحسن، فقد كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مر أحد من خلق الله أجلالا له».. ولهذا فقد قال له رجل: إن فيك عظمة!! فقال عليه السلام: بل فيَّ عزة، إن الله يقول ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ـ ثم كم كانت الفترة التي أقامها أمير المؤمنين ومعه ابنه الحسن في الكوفة حتى استطاع أن يطلق فيها خمسين امرأة؟ إنها لم تزد على أربع سنوات ونصف تقريبا، مع ما تخللها من حرب الجمل وصفين والنهروان.. والأحداث العاصفة العاصفة التي كانت فيها..!

ـ ولا يخلو الأمر (الطلاق المذكور) من كونه مشروعا أو غير مشروع.. فإذا كان مشروعا فلماذا ينهى عنه الإمام أمير

(١)للتفصيل يراجع بحار الأنوار ج ٤٣.

المؤمنين، وإن كان غير مشروع فكيف يعمله الإمام الحسن؟ وعلى الأول فإما أن يكون راجحا أو غير راجح.. والأول مخالف لما هو في الارتكاز الديني، و للروايات التي تصرح بأنه الله يبغض المطلاق الذواق.. وعلى الثاني فكيف يقوم به الإمام الحسن عليه السلام، بناء على ما هو مقرر من عدم فعل الإمام للمكروه لا سيما إذا كان على نحو الاستمرار والدوام! وإذا كان يخل بموقع الإمام الحسن فقد كان على والده تنبيهه[1].

وهل بلغ الأمر بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا يستطيع أن يأمر الحسن ابنه بشيء وييأس!! من قبوله كلامه حتى يضطر إلى تحذير الناس والخطاب العام فيهم؟؟ أن لا يزوجوه.. أو بلغ الأمر بالحسن عليه السلام أنه لا يقبل كلام أبيه ولا يعيره اهتماما لا على سبيل النصيحة ولا على سبيل الأمر والنهي؟

وهكذا يبلغ الأمر ببعض همدان ــ وهم الأسبق إلى طاعة

---

(١)نقل العلامة المجلسي في البحار / ٤٣: أن قوما من أهل الكوفة قالوا أن الحسن عيٌّ لا يقوم بحجة «ولعل ذلك أن المنبر كان سيده أمير المؤمنين فمن يصل إليه؟» فجاء الإمام وأخبر ابنه الحسن بمقالتهم قائلا: قال فيك قوم من الكوفة مقالة أكرهها، وأمره أن يقوم بين الناس خطيبا فصعد الحسن المنبر وخطب خطبة بليغة، فلما أتمها قام الإمام من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن وقبل ما بين عينيه ثم قال له: أُثبت على القوم حجتك ووجبت عليهم طاعتك فويل لمن خالفك!! افتراه يسكت عن شيء يشين ابنه الحسن كالذي زعموه أو يقوم هو عليه السلام بشين ابنه وعيبه على المنبر؟

أمير المؤمنين كما هو معروف ـ إلى الرد على الإمام وهو يخطب فيهم بأن لا يزوجوه!! بأنهم سوف يزوجونه بالرغم من نهي علي عليه السلام.. وأنهم أعرف منه بالمصلحة!!

وهكذا عزيزي القارئ لو أريد مناقشة التوالي الفاسدة لهذه الفكرة لطال بنا المقام.. لكن يكتفى بهذا المقدار.. ومن هذا المنطلق فمنطلق فإننا لا نستطيع قبول هذه الفكرة، مع أنه توجد روايتان معتبرتان سندا في هذا المجال.. وإن لم يمكن توجيههما ببعض الوجوه، فلا بد من رد علمهما إلى قائليهما ـ على فرض الصدور ـ.

وأخيرا فإنه يفترض أن يتناسب عدد أولاده مع ما زعم من عدد زوجاته المائتين والخمسين أو الثلاثمائة[1]، فلو فرضنا أن نصفهن قد حملن بواحد فقط فإن ذلك يعني وجود مائة وخمسين ولد للحسن عليه السلام مع أنه لم يذكر له أكثر من خمسة عشر ولدا، من زوجات معروفات ضبطت أسماؤهم، ولتوضيح الأمر نقول

(١)تردد العدد بين سبعين كما قال المدائني الذي أجهد نفسه في الاحصاء بقوله «وتزوج امرأة من بني كذا وامرأة من ثقيف!! هكذا من غير هوية..ثم لم يستطع أن يأت بعشرة أسماء.. وقال إنه أحصي عددهم فبلغن سبعين!!» لكن صاحب قوت القلوب لم يعجبه العدد فصعد به إلى مائتين وخمسين وكأنه استقل العدد فقال إن بعضهم قال إنهم ثلاثمائة، وجاء المحدث أبو عبد الله في كتابه (رامش أفزاي آل محمد) فمشّاهن حافيات في جنازته!! أقول نفس هذا التردد بهذه المسافة بين سبعين وثلاثمائة يضعف هذه الأخبار طرا فقد يتردد الأمر ويشتبه بين عشرة وأحد عشر واثني عشر، لا كالمقدار المذكور.

أن أمير المؤمنين عليه السلام كان له خمسة عشر ولدا من ست حرائر والباقي وهم أحد عشر لأمهات أولاد! والحسين عليه السلام كان له من الولد ستة أولاد وقيل أكثر من ذلك ومن النساء خمس. ولزين العابدين خمسة عشر ولدا من حرة والباقي أمهات أولاد..

ـ والعجيب أننا لا نجد في ما لُمز به الإمام الحسن من قبل مناوئيه الأمويين الذين كانوا يحاولون كسر شخصية الحسن، والعيب عليه كما يلحظ ذلك من مناظراته مع معاوية وأنصاره. لم يذكر أحد منهم هذه الصفات مع أنها لو كانت في أحد من عامة الناس لعيب بها ولُمز وانتقد، فكيف غفل عنها أولئك مع أنهم كانوا يتحينون الفرص لعيبه؟[1]

❁❁❁

معذرة.. عزيزي القارئ، كنا نريد الحديث عن سيدة من سيدات بيت النبوة والرسالة، ووعاء من أوعية الإمامة وهي بنت الإمام الحسن عليه السلام، وقد ساقنا إلى الحديث عن أبيها وزوجاته وما أشيع عنه، ما نراه من التنافر بين ذكر أبنائه وبناته وتعدادهم القليل وبين ما ذكر من عدد زوجاته.. وإحدى من ذكر المؤرخون من أبنائه عليه السلام هي فاطمة (أو أم عبد الله) زوجة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وأم أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.

اقترن الإمام زين العابدين عليه السلام، بأم عبد الله فاطمة ابنة

---

(١)راجع الاحتجاج والبحار ٤٤.

عمه، فكان نتاجهما الإمام الباقر محمد وهو أول علوي بين علوي وهاشمي بين هاشميين وفاطمي بين فاطميين، وقد كانت هذه المرأة الصالحة قد تعلمت على يد أبيها الحسن عليه السلام، ثم زوجها السجاد عليه السلام، وكان حريا بها أن تغدو بعد هذه التربية (صديقة) كما قال الإمام الصادق: كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها!!

وكانت وهي من نسل الإمامة وأيضا وعاء للإمامة، شديدة القرب من خالقها، كيف لا وهي ترى مناجاة زوجها، وتوسله وتخضعه لله سبحانه وتعالى، مما بقي بعده مجموعا باسم الصحيفة السجادية.. ومن ما يروى في أحوالها ما عن ابنها أبي جعفر الباقر عليه السلام قال كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار و سمعنا هدة شديدة فقالت ـ بيدها أي أشارت ـ: لا و حق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط فبقي معلقا حتى جازته فتصدق عنها أبي بمائة دينار.

ويفترض أنها كانت في كربلاء وشهدت الواقعة، وما جرى فيها بالرغم من أننا لا نعثر على حديث صريح في المقاتل عنها، والذي يدعونا إلى ذلك الاعتقاد هو أن ولادتها بالباقر عليه السلام كانت في حدود سنة سبع وخمسين أو ثمان وخمسين، وقد كان الباقر مع أبيه السجاد حاضرين في كربلاء، وليس من الطبيعي أن يكون الباقر وهو في تلك السن المبكرة، وهو ابن سنتين أو ثلاث أن يكون منفردا عن أمه، كما أنه لم يكن من الطبيعي أن يترك الإمام السجاد زوجته في المدينة أو مكة ليخرج إلى كربلاء مع أبيه.. وهو وإن كان له عدة زوجات إلا أن أفضلهن ـ بلا

ريب ـ بنت الحسن وأم الباقر عليهما السلام التي كانت (صديقة) كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

وبالرغم من أنها لم ترى بعينيها شهادة أحد من أبنائها، وذلك انه كان لها الباقر وقد كان حينها صغير السن، وعبد الله الباهر كذلك، إلا أنها رأت شهادة إخوتها من أبناء الإمام الحسن (أبي بكر، وعبد الله والقاسم) وجرح الحسن المثنى..

وخرجت من تلك البقعة الطاهرة تاركة خلفها أجساد إخوتها، وأقاربها لتبدأ في معايشة المعاناة المؤلمة لما كانت تراه يجري على زوجها السجاد من المصائب والهموم، فمن تهديده بالقتل قبل الرحيل عندما هجم القوم على المخيمات، إلى محاولة ابن زياد في الكوفة لقتله، إلى مشاكل السفر والسبي.. إلى الشام وما جرى فيها على النساء، وهي صابرة مسلمة أمرها لله سبحانه وتعالى.

ومما يلفت النظر في حياة هذه النساء الصالحات، حسن تعاملهن مع أزواجهن فمع وجود التعدد في الزوجات في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وما يجره هذا في العادة بين النساء من المشاحنات، والاختلاف إلا أننا نجد عند دراستنا لحياة المعصومين الشخصية، انعدام هذه الحالات أو قلتها إلى أدنى الحدود، بحيث لم يؤثر ظهور تلك الحالات على السطح إلا نادرا.

فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام

توفيت حوالي سنة ١١٠ هـ

«ولكني أختار لك ابنتي فاطمة فأما في الدين فهي تقوم الليل وتصوم النهار، وفي الجمال تشبه الحور العين..»

الامام الحسين عليه السلام

يعتمد الإسلام في صنع نهضة المجتمع على بناء الإنسان، وتربيته، ولذلك فهو يتوجه إلى الوالدين ويحملهم أولا مسؤولية تربية الأولاد، ويرى أن تأثير التربية الصالحة أقوى من تأثير الظروف المحيطة، و والضغوط الخارجية، وإن كان هذا لا يعني أن تأثيرها حتمي لا مرد له، فقد يمكن أن تتهيأ التربية الصالحة، ولكن لا يكون الشخص صالحا لاستقبال خيراتها، أو تغلبه شهواته، ولكن القاعدة هي ما ذكرنا.. ولهذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام محملا الوالدين مسؤولية الأولاد: «وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره و شره وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه

مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه»[١].

وإنما أُتي مجتمعنا، واخترق حين أصبحت تربية الوالدين أبناءهما إلى مسألة هامشية، فالرجل يخرج ليقضي سحابة نهاره في عمله، وإذا فرغ من عمل دخل في آخر، وإذا عاد إلى البيت هو متعب لا يريد أن يسمع ولا يتكلم، ولا.. وإنما يريد أن يرتاح، وربما وجد أنسه خارج المنزل بعيدا عن مشاكل الأبناء والبنات، فليمرح قليلا مع الصحب والأصدقاء!!

والأم إما هي امرأة عاملة، وحالها حال الزوج، وإما غير مسيطرة في داخل المنزل في حال غياب الزوج ـ لا الجغرافي والفيزيائي وإنما ـ النفسي، فتتشكل أخلاق الأولاد بلا توجيه، ونفسياتهم من دون تربية. وهنا يكون الموجه هو التلفزيون وما يعرضه من أفكار باطلة عن الحياة، وهي أسوأ من المناظر الخلاعية والفاسدة، فهذه تثير شهوة مؤقتة، وتلك تفسد مسار حياة كامل، فـ (تبعد عليه القريب وتقرب عليه البعيد). ويكون المربي هو الشارع والأصدقاء، وهم إن لم يكونوا أسوأ حالا من هذا الولد فليسوا بأحسن حالا إذ هم يعانون نفس المشكلة لو لم يكن أكثر. نعم تبقى هناك صور طيبة، وهي التي نلاحظ آثارها في صلاح المجتمع من تحمل الوالدين لمسؤلية التربية، والحرص عليها، واعتبارها الدور الأول، قبل إعداد الطعام، وجلب المال، وما نراه من خير، وصلاح في العوائل مرده إلى هذا التوجه.

---

(١) بحار الأنوار ٦٧/ ص ٧.

ولكي نستهدي بطريق أهل البيت عليهم السلام، ونتبين مقدار أثر التربية في إنتاج النماذج الفريدة، نأخذ مثلا من حياة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام. فقد بلغت بتربية أبيها، واستعداد نفسها إلى أن أصبحت تلك العالمة المحدثة التي يروي عنها الفريقان الكثير من الأحاديث، و تلك العابدة التي كانت (تقوم الليل كله وتصوم النهار)، وتلك المؤتمنة على ودائع النبوة ومواريث الإمامة عندما استودعها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كتابا ملفوفا ووصية[1]. وهي اللبوءة الحسينية التي تقف أمام جموع أهل الكوفة بتقرعهم بنوازل التوبيخ، وصواعق اللوم، وتحملهم مسؤولية الإثم الذي ارتكبوه، وأنه لا كفارة له إلا نصرة المنهج، والاستمرار في معارضة الظلم. وهي المربية التي تنشيء أولئك الأبطال الثائرين من نسل الإمام الحسن عليه السلام حتى عادت علامة فارقة لآل الحسن فيما بعد، أنهم حاملو راية الثورة المسلحة، وحليفو السجون المظلمة والمهاجر النائية.

---

(١)في رواية في الكافي ١/ وفي طريقها أبو الجارود زياد بن المنذر، ولا توثيق له لكن يمكن أن يستفاد حسن حاله من روايته عن المشايخ الثقات الذين قيل إنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة، وكذلك من كونه لم يستثن من كتاب نوادر الحكمة. ثم إنه سيأتي في ذكر حكيمة بنت الإمام الجواد عليهما السلام أن الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت على في الظاهر فكان ما يخرج عن على بن الحسين عليهما السلام من علم ينسب إلى زينب سترا على علي بن الحسين عليهما السلام، ولا تعارض بين ما سيذكر هناك وما هو هنا، فإن المذكور في هذه الرواية أنه أئتمنها على الوصية الكتابية لتحفظها حتى إذا رجعوا إلى المدينة، وتخلصوا من الأسر اعطتها إلى الإمام السجاد عليه السلام.

الراوية العالمة

بالرغم من أن فاطمة لم تعاصر جدتها الزهراء، أو جدها أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن كونها في بيت النبوة قد ساعدها، على أن تكون نظرة واضحة عما جرى إثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفت مقدار الظلم الذي لحق بجدها أمير المؤمنين وأمها الزهراء، لذلك طفقت تتحدث عن تلك الفترة، وتنقل خبر الظلامة إلى من يسمعها، فهاهي تروي حال أمها الزهراء عليها السلام، بعد أن اشتدت علتها ومرضها بعد حوادث السقيفة:

ـ حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال: حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها اجتمع عندها نساء المهاجرين الأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم قبل أن عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي وبئس ﴿مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين والطبين (يعني الفطن) بأمر الدنيا والدين؟

ألا ذلك هو الخسران المبين!!

وما نقموا من أبي حسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله عز وجل والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولا وردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه ولأصدرهم بِطانا، قد تخير لهم الري غير متحلٍّ منه بطائل إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلمّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب!! وإن تعجب وقد أعجبك الحادث إلى أي سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذُّنابى والله بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فمالكم كيف تحكمون؟

أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا..هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا واطمأنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا. فيا حسرتى لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.[1]

---

(١)معاني الأخبار للشيخ الصدوق ٣٥٤.

ولم يقتصر الأمر على جانب التشكي والتظلم، وإنما كان لها دور مهم في رواية مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام والسائرين على خطه، وفي اعتقادنا أن المناقب والفضائل لم يقصد بها (لا في أصل إنشائها من قبل رسول الله ولا في نشرها من أهل البيت وأشياعهم) لم يقصد بها الافتخار والمباهاة، كما قد يتصور بعض الغافلين وإنما هي لأجل التأكيد على سلامة الخط الذي يقوده أمير المؤمنين وذريته المعصومين، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يرى بعينه الثاقبة المستقبل، وماذا سيجري على أمته من سراق الدعوة، وقطاع الطرق على الناس، والمتصيدين لغفلتهم، فأراد أن يضع علامات واضحة، على طريق الهداية حين تتفرق الأحزاب، وتتشعب المذاهب، فصرّح في ذلك ولّمح، إلى أن «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار». و أنه «مع القرآن والقرآن مع علي».

وكان لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام دور مهم في هذا الشأن، فقد روت عن أبيها عن أمه الزهراء عليها السلام (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفة، فقال: إن الله باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، إن السعيد كل السعيد من أحب عليا في حياته وبعد موته..). وروت احتجاج أمها الزهراء عليها السلام ـ مما يكشف لنا أيضا جانبا خفيا في تاريخها عليها السلام ـ على معاصريها ممن أنكر حق أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: (أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كهارون من موسى عليهما السلام)؟

وروت عن أبيها الحسين عليه السلام، فقد نقل في البحار عن

عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو بهذا الدعاء بين كل ركعتين من صلاة الزوال (الركعتان الأولتان) اللهم أنت أكرم مأتي و أكرم مزور و خير من طلبت إليه الحاجات و أجود من أعطى و أرحم من استرحم و أرأف من عفا و أعز من اعتمد عليه. اللهم بي إليك فاقة و لي إليك حاجات و لك عندي طلبات من ذنوب أنا بها مرتهن و قد أوقرت ظهري و أوبقتني و إلا ترحمني و تغفر لي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ.

اللهم إني اعتمدتك فيها تائبا إليك منها فصل على محمد و آله و اغفر لي ذنوبي كلها قديمها و حديثها سرها و علانيتها و خطاها و عمدها صغيرها و كبيرها و كل ذنب أذنبته و أنا مذنبه مغفرة عزما جزما لا تغادر ذنبا واحدا و لا أكتسب بعدها محرما أبدا و اقبل مني اليسير من طاعتك و تجاوز لي عن الكثير من معصيتك يا عظيم إنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأرض كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يا من هو كل يوم في شأن صل على محمد و آله و اجعل لي في شأنك شأن حاجتي و حاجتي هي فكاك رقبتي من النار و الأمان من سخطك و الفوز برضوانك و جنتك و صل على محمد و آل محمد و امنن بذلك علي و بكل ما فيه صلاحي و أسألك بنورك الساطع في الظلمات أن تصلي على محمد و آل محمد و لا تفرق بيني و بينهم في الدنيا و الآخرة إنك على كل شيء قدير[1]...

---

(١) بحار الأنوار ٨٤ / ٦٦.

وتقدم ابن عمها الحسن بن الإمام الحسن السبط عليه السلام، إلى أبيها الحسين عليه السلام، طالبا الزواج من إحدى ابنتيه، فقال له: «أما سكينة فإن الغالب عليها الاستغراق مع الله.. ولكني أختار لك ابنتي فاطمة..أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار، وفي الجمال فهي تشبه الحور العين»، وانتقلت إلى بيت الحسن المثنى، لتنجب له من الأولاد هم (عبد الله (المحض)، والحسن (المثلث)، وإبراهيم، وبنت وهي أم جعفر.

امرأة في وجه المجتمع الراكد

كان ممن خرج مع الحسين عليه السلام في نهضته الكبرى أبناء أخيه الحسن السبط عليه السلام، ومنهم الحسن (المثنى)، وقاتل كما قاتل إخوته، لكن مشيئة الله كانت أن يجرح وتقطع يده فيؤسر بعد أن قتل ثمانية عشر رجلا من أعداء الحسين عليه السلام، ثم يستخلصه ـ فيما بعد في الكوفة ـ أسماء بن خارجة الفزاري، حيث أن أمه خولة بنت منظور كانت من بني فزارة، وكانت بنت الحسين عليه السلام فاطمة في ضمن ركب الأسارى الذين جيء بهم إلى الكوفة ثم أرسلوا إلى الشام.

وكان ينبغي للمجتمع الكوفي، صفعة وجدان، وصعقة ضمير حتى يتنبه إلى عظم الجريمة التي ارتكبها بالخذلان، وارتكبت أمام عينيه من دون أن يحرك ساكنا.. ذلك المجتمع الذي يختلف قلبه وعقله، فيحكم له الثاني بشيء بينما يطيع بسقم إرادته الأول، وتختلف ظواهره عن سرائره، فإذا به مرعى زاهٍ على دمنة وعذرات نجسة، وإذا بالقلوب في مكان و السيوف في مكان آخر. ذلك المجتمع الذي كان الدين يحتاج فيه إلى دم

مجاهديه، فاكتفى بكسرات الخبز والجوز يعطيها لأطفال الحسين، وكان الإسلام يحتاج منه إلى موقف صارم تحركه إرادة الجهاد والاستشهاد، فاكتفى بالبكاء الخذول.

مثل هذا المجتمع لا ينفع فيه التبرير لوضعه، و لا المجاملة لفعله، بل لا بد من شحذ الحقيقة أمامه واضحة كالسيف، وإلا لن يتنبه.. وهذا ما فعلته فاطمة عليها السلام ، فعندما وصلوا إلى الكوفة، قامت فاطمة وسط الجمع خطيبة فيهم فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات. اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام المسلوب حقه المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله وبه معشر مسلمة بألسنتهم تعسا لرؤسهم! ما دفعت عنه ضيما في حياته ولا عند مماته حتى قبضته إليك محمود النقيبة طيب الضريبة معروف المناقب مشهور المذاهب لم تأخذه فيك لومة لائم ولا عذل عاذل هديته يا رب للإسلام صغيرا وحمدت مناقبه كبيرا ولم يزل ناصحا لك ولرسولك صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبضته إليك زاهدا في الدنيا غير حريص عليها راغبا في الآخرة مجاهدا لك في سبيلك رضيته فاخترته وهديته إلى طريق مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء!! إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا فجعل بلاءنا حسنا وجعل

علمه عندنا وفهمه لدينا فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته في الأرض في بلاده لعباده أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم على كثير من خلقه تفضيلا فكذبتمونا وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالا وأموالنا نهبا كأنا أولاد الترك أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم.. قرت بذلك عيونكم وفرحت به قلوبكم اجتراءا منكم على الله ومكرا مكرتم والله خير الماكرين فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا فان ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة ﴿فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

تباً لكم! فانتظروا اللعنة والعذاب فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ألا لعنة الله على الظالمين. ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟ أو أية نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟ قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطُبع على أفئدتكم وخُتم على سمعكم وبصركم وسول لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فانتم لا تهتدون. تبا لكم يا أهل الكوفة! كم من ترات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلكم وذحول له لديكم ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه عترة النبي الطيبين الأخيار وافتخر بذلك مفتخر فقال:

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح

وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فاي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث ولك الاثلب افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فاكظم وأقعِ كما أقعى أبوك وإنما لكل امرء ما اكتسب وما قدمت يداه حسدتمونا ويلا لكم على ما فضلنا الله.

فما ذنبنا إن جاش دهر بجورنا

وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا.[1]

نقاط في الحياة الشخصية: عمرها وزواجها

لماذا أخرنا هذا الجانب، مع أنه يُبتدأ به عادة؟ ذلك لأن هذا الجانب فائدته الأساسية نظرية، بينما ما سبقه فيه فائدة عملية، ومجال الاقتداء فيه لمن أراد مفتوح..

ذكر المحقق السيد المقرم رحمه الله في حاشية مقتل الحسين

(1)الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٢٧.

عليه السلام صفحة ٣١٤، أن ولادتها في سنة ٣٠ هجري تقريبا، وعمرها يوم الطف كذلك (أي ثلاثون) وأنها توفيت قبل أختها سكينة بسبع سنوات، فتكون وفاتها في سنة ١١٠، وأن عمرها حين توفيت يقارب التسعين.. وقد نقل ذلك عن عدد من المصادر جامعا بين ما ذكروا، ولم يعلق عليه.

لكن يمكن التأمل في ما ذكر، فإضافة إلى أن ذلك ينتج أن عمرها يوم الطف يكون أكبر المذكور، إذ تكون ولادتها بناء على أن وفاتها في سنة ١١٠ هـ وعمرها كما قالوا تسعون سنة فيكون ميلادها في سنة عشرين، وتكون يوم الطف في سن الحادية الأربعين، فلا يتم لهم ما أرادوا من أن عمرها يوم الطف ثلاثون سنة. يضاف إلى ذلك أن جملة من الروايات المتعلقة بوصف حادثة المقتل وما بعده في الشام قد ذكرت فيها فاطمة بعنوان الجارية، والجارية الصغيرة في مواضع أخرى، ولا يطلق هذا اللفظ على من يكون سنها يوم الطف ثلاثين سنة. فقد روى في العوالم عنها.[1]

أمالي الصدوق قدس سره: ابن المتوكل عن السعد آبادي عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي الجارود زياد بن المنذر عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: دخلت العامة علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة وفي رجلي خلخالان من ذهب فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي فقلت: ما يبكيك يا عدو الله فقال: كيف لا أبكي

(١)عوالم العلوم للبحراني ـ حياة الإمام الحسين ٣٦٠.

وأنا أسلب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أتسلبني قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه. قالت: وانتهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا.

أقول: في بعض كتب الأصحاب أن فاطمة الصغرى(١) قالت: كنت واقعة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزرين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية أيقتلوننا أو يأسروننا فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن: واجداه!! وأبتاه! واعلياه! واقلة ناصراه! واحسناه! واحسيناه! أما من مجير يجيرنا أما من ذائد يذود عنا قالت: فطار فؤادي وارتعدت فرائصي فجعلت أجيل بطرفي يمينا وشمالا على عمتي أم كلثوم خشية منه أن يأتيني.

فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني ففررت منهزمة وأنا أظن أني أسلم منه وإذا به قد تبعني فذهبت خشية منه وإذا بكعب الرمح بين كتفي فسقطت على وجهي فخرم أذني وأخذ

---

(١)/ لا أعلم هل أن لقب الصغرى هو بالقياس إلى فاطمة بنت علي أمير المؤمنين التي كانت أيضا في كربلاء، والتي ذكر الأزدي في المقتل أنها هي التي طلب الرجل الشامي من يزيد أن يهبه إياها. أو غيرها، ولكن بناء على أن للحسين بنتا بقيت في المدينة وأن اسمها فاطمة تكون تلك الباقية في المدينة هي الصغرى وهذه الكبرى.. وعلى أي حال فالرواية السابقة قد عينت المقصودة بكونها أم عبد الله بن الحسن وهي التي نتحدث عنها.

قرطي ومقنعتي وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس وولى راجعا إلى الخيم وأنا مغشي علي وإذا أنا بعمتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل فقمت وقلت: يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد اسود من الضرب فما رجعنا إلى الخيمة إلا وهي قد انتهبت وما فيها وأخي علي بن الحسين عليهما السلام مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا..

وقد نحتمل ان عمرها كان في يوم الطف في حدود الثالثة عشر أو الرابعة عشر، وذلك بملاحظة عمر زوجها، فإنها قدمت إلى كربلاء مع زوجها الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط عليه السلام، وهذا قد توفي في سنة ٩٧ هـ كما ذكر في البداية والنهاية ج ٩/ ٢٠٢.. وعمره أكثر من ثلاثة وخمسين (وإن ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد أنه توفي مسموما وعمره خمس وثلاثون سنة، إلا أنه لا يمكن قبوله ويحتمل أن تصحيفا حصل في الطبع فبدل أن يطبع ٥٣ عكست. أو أن المقصود من ذلك أنه توفي بعد الطف بخمسة وثلاثين عاما وهذا يتفق مع ما ذكر من تاريخ وفاته) إذ يظهر أن وفاته في سنة ٩٧ هـ متسالم عليها، ويحتمل أن ما ذكره في الأعيان من أن عمره في حادثة كربلاء كان في حدود السابعة عشر ليس بعيدا..

ومع هذا لا يعقل أن يتزوج من هو في هذا السن امرأة في سن الثلاثين فضلا عن الأربعين كما ذُكر قبل قليل. خصوصا

أن الرواية الواردة في زواجه تتحدث عن أنه أراد الزواج بإحدى ابنتي الحسين سكينة أو فاطمة أو أن الحسين اختار له إحداهما، ويفترض أنهما في سن متقارب وأنه أيضا في سن مناسب للزواج بهما.

❁❁❁

وأما قضية زواجها بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقد ذكر ذلك في مقاتل الطالبيين فقال:

لما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول: إني لأجد كربا ليس من كرب الموت فقال له بعضهم: ما هذا الجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جدك وعلى علي والحسن والحسين وهم آباؤك.

فقال: ما لذلك أجزع ولكني كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان حين أموت قد جاء في مضرجتين أو ممصرتين وقد رجل جمته يقول: أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمي وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فإذا مت فلا يدخلن علي. قال: فصاحت به فاطمة: أتسمع قال: نعم. قالت: اعتقت كل مملوك لي وتصدقت بكل مملوك لي إن أنا تزوجت بعدك أحدا.

قال: فسكن الحسن وما تنفس وما تحرك حتى قضى ـ رضوان الله عليه ـ فلما ارتفع الصياح اقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن فقال بعض القوم: ندخله وقال بعضهم: لا ندخله وقال قوم: وما يضر من دخوله فدخل. وفاطمة رضوان

الله عليها تصك وجهها فأرسل إليها وصيفا كان معه فجاء فتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي اتقي على وجهك فان لنا فيه أربا!!.

قال: فأرسلت يدها في كمها وعرف ذلك فيها فما لطمت حتى دفن. فلما انقضت عدتها خطبها فقالت: كيف بنذري ويميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين. ففعل فتزوجته ... انتهت الرواية الأولى. وهناك سناريو آخر قريب منه، لنستمع إليه: أيضا في المقاتل..

وقد حدثني أحمد بن سعيد في أمر تزويجه إياها عن يحيى بن الحسن عن أخيه أبي جعفر عن محمد بن عبد الله البكري عن إسماعيل بن يعقوب: أن فاطمة بنت الحسين لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه فحلفت أمها عليها أن تزوجه وقامت في الشمس وآلت ألا تبرح حتى تزوجه فكرهت فاطمة أن تحرج فتزوجته.

ولنا هنا عدة ملاحظات، مع علمنا بأن لا مشكلة في أن يتزوج امرؤ مسلم بسيدة من أهل بيت النبوة كفاطمة، فإنهم حتى وإن ذكروا في بعض مذاهب المسلمين أن غير بني هاشم من سائر المسلمين لا يكافئون بني هاشم كما ذكر ابن قدامة المقدسي الحنبلي في كتابه المغني(١)، إلا أن شيعة أهل البيت لا يلتزمون بذلك في حد نفسه، نعم لو انطبقت عناوين أخرى يمكن الالتزام به. وإن كنا نرى سعيا حثيثا عند غير شيعة أهل

(١)/ المغني ٧/ ٣٧٥.

البيت لإلصاق قضية الزواج من نساء أهل البيت، بصورة أو أخرى، مثل موضوع زواج الخليفة الثاني ببنت أمير المؤمنين عليه السلام، والخليفة الثالث ببنتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومصعب بن الزبير بسكينة بنت الحسين، وغيرهم.. ولا نعلم هل هذا جزء من التوظيف لخدمة النظرية، وأن العلاقة بين أولئك لم يكن يشوبها ما يكدر الخاطر، وبالتالي فمشاركة مصعب بن الزبير ثورة أخيه عبد الله الذي لو استقر له الأمر لأحرق بني هاشم، كما يذكر المؤرخون في أحواله.. مثل هذه الأحداث لا ينبغي النظر إليها..

ولن نطيل الحديث كثيرا في الطريقة التي يتحدثون بها عن كيفية الزواج، وما يعبّأ فيها من توهين مقصود لنساء أهل البيت عليهم السلام، فهذا أمير المؤمنين كما زعموا يرسل ابنته إلى الخليفة الثاني وهي صغيرة ليكشف عن أعلى ساقيها، وهذه فاطمة بنت الحسين يكلمها وصيف وخادم في وسط النساء وهي تلطم وجهها، فيرى وجهها وغير ذلك، ويطلب منها الكف عن اللطم لكي يتمتع عبد الله العثماني بذلك الوجه، حتى عُرف ذلك فيها وسكتت وانمحى حزنها.. نعم فقد أرسلت إليها السماء هذا الكنز العظيم، الذي يستحق أن ينسى حزنها على الزوج في لحظة واحدة لأجله!! وماذا ينقصه أليس حفيد الخليفة الثالث؟؟ فلابد إذن أن تركض وراءه فاطمة بنت الحسين!! أرأيت الاستهانة بالعقول؟ وفي رواية أخرى ينقلها صاحب أعلام النساء[1] عن عدة مصادر!! مفادها أنها هي التي أرسلت!!

(١)أعلام النساء لعمر كحالة ٤/ ٤٤.

له مولاة لها قائلة: إيتي عبد الله بن عمرو فقولي له أعرنا بغلتك الشهباء برحالتها فإني أريد أن أصير إلى بعض أموال ولدي بالعالية.. فأتته فقال: لو كان لي إلى مولاتك سبيل؟ ارحلوا لها البغلة.. فلما جاءت سألتها مولاتها: عما قال لها، فأخبرتها، فقالت فاطمة: ويلك وأين المذهب عنه؟ فأرسل إليها فخطبها؟؟ ولا نعلم ما هو السر في هذا الرجل الذي تتهافت عليه فاطمة فتستجدي منه بغلة لكي تصل إلى أموال ولدها.. وتدبر الأمر هي بنفسها حتى يحصل هذا الاتصال، وتنعدم السبل أمامها فلا تجد بغلة في الأرض إلا بغلة ذلك الرجل؟ فإذا بين لها أن له بها رغبة تراها تقتتل عليه.. وأين المذهب عنه؟

ولا أدري كيف يمكن التوفيق بين كل هذه الروايات، الرواية الأولى التي تصور الخاطب وكأنه يمتلك (ريموت كونترول) بحيث بمجرد أن أرسل رسالته عبر الوصيف، أدخلت فورا يدها في كمها حتى عرف ذلك منها، ولم تلاحظ حتى مقتضى الحال أن تخفف بالتدريج حزنها!! وبين الرواية الثانية التي ينقلها نفسه، والتي فيها أنها لم تقبل به حتى قامت أمها في الشمس وحلفت أنها لن تبرح إلا بعد قبولها؟؟ والرواية الثالثة التي يظهر أن صاحبها كبُر عليه أن يتنازل عبد الله بن عمرو فيأتي لبيتها، فأورد قصة مفادها أنها هي التي أرسلت له جاريتها وهي التي دبرت أمر الخطبة، (ببركة البغلة الشهباء)!!

وعلى كل حال يمكن مناقشة ما ذكروا أيضا:

إذا كانت كما ذكروا قد توفيت في سنة ١١٠، وكان عمرها تسعين سنة، فهذا يعني أنها قد ولدت في سنة عشرين للهجرة،

وهذا معناه أن عمرها يوم الطف أربعين سنة، وتكون حين وفـاة زوجها الحسن المثنى سنة ٩٧ هـ في سن السابعة والسبعين فهـل ترى أحدا يقدم على الـزواج مـن امـرأة في هـذا الـسن، ويـرى معاصمها..الى آخر ما ذكروه؟ ثم تنجب هذه المرأة ذات الـسابعة والسبعين له ثلاثة من الأولاد؟

ولا يسلم من هذا الإشكال حتى من ادعى أنهـا قـد توفيـت وعمرها سبعون سنة، إذ على هذا تكون عند وفاة زوجها الـذي توفي في سنة ٩٧ هـ كمـا سـيأتي، في سـن الـسابعة والخمـسين، وهي ليست في سن يناسبه ذلك التغزل بوجهها ومعاصمها كما أوردوه، ولا هي في سن تسمح لها بإنجاب عـدد مـن الأبنـاء منـه كما ذكروا.

ونحن وإن لم نقبل هـذا التـاريخ لولادتهـا إلا أنـه علـى كـل تقدير من الثابت أنها كانت إلى سـنة ٩٧ هــ في زوجيـة الحـسن المثنى حين توفي ولم يثبت بعد ذلك زواجها من أحد.

ومعها لو فرضنا زواجها فإن حملها وولادتها ثلاثـة أبنـاء في هذا السن الذي يتجاوز سن اليأس الطبيعي[1] عنـد المـرأة أمـر غير معقول. بل إن من الثابت أن عبد الله بـن عمـر بـن عثمـان

---

(١)وهذا لا يخالف ما ورد من الروايات المشيرة إلى أنه (إذا بلغت المرأة خمسين سنة لم تر حمرة إلا أن تكون امرأة من قريش) فهي إضافة إلى ضعف أسانيد بعضها، لا تتكفل باثبات أن كل امرأة قرشية يجب أن يحصل لها هذا الأمر، وإنما مع فرض خروج الدم بصفاته المعهودة يحكم عليها بالتحيض.

الذي ادعي زواجه منها قد توفي في سنة ٩٦ هـ كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية في ج ٩/ ١٩٧، فكيف يتزوجها بعد نهاية عدتها والحال انه توفي قبل وفاة زوجها الحسن المثنى الذي يذكرون أنه توفي في سنة ٩٧ هـ؟ والعجيب أنه في البداية والنهاية قد ذكر تاريخي الوفاة لهما ومع ذلك لم يلتفت إلى الالتزام بلوازمهما.

ثم إنهم يذكرون أن عبد الرحمن بن الضحاك الفهري لما ولاه يزيد بن عبد الملك المدينة، في حدود سنة ١٠١ هـ قد بعث إليها يخطبها، مهددا بأنه إن لم تستجب له، فسيقيم أكبر أولادها للجلد تحت السياط، فبعثت برسالة إلى يزيد بن عبد الملك، فانتقم منه كما ذكر ذلك اليعقوبي في تأريخه، وفي الأخبار الطوال، وغيرهما. فكيف يخطب هذا الرجل امرأة قد فرضوا أنها زوجة لعبد الله بن عمرو بن عثمان، ولتوها كان قد توفي زوجها الحسن المثنى؟ فإن كانت زوجة عبد الله بعد الحسن المثنى وأنه عرض في خطبتها في أثناء حدادها كما زعموا فتزوجها بعد نهاية عدتها، فكيف يخطبها عبد الرحمن الفهري وهي ذات بعل؟ وأين كان عنها زوجها ـ فيما يزعمون ـ عبد الله بن عمرو؟ وإن كانت خلية من الزوج حتى سنة ١٠١ هـ حين أراد الفهري الزواج.

ثم إنهم يذكرون أن عبد الرحمن بن الضحاك الفهري لما ولاه يزيد بن عبد الملك المدينة، في حدود سنة ١٠١ هـ قد بعث إليها يخطبها، مهددا بأنه إن لم تستجب له، فسيقيم أكبر أولادها للجلد تحت السياط، فبعثت برسالة إلى يزيد بن عبد الملك،

فانتقم منه كما ذكر ذلك اليعقوبي في تأريخه، وفي الأخبار الطوال، وغيرهما. فكيف يخطب هذا الرجل امرأة قد فرضوا أنها زوجة لعبد الله بن عمرو بن عثمان، ولتوها كان قد توفي زوجها الحسن المثنى؟ فإن كانت زوجة عبد الله بعد الحسن المثنى وأنه عرض في خطبتها في أثناء حدادها كما زعموا فتزوجها بعد نهاية عدتها، فكيف يخطبها عبد الرحمن الفهري وهي ذات بعل؟ وأين كان عنها زوجها ـ فيما يزعمون ـ عبد الله بن عمرو؟ وإن كانت خلية من الزوج حتى سنة ١٠١ هـ حين أراد الفهري الزواج بها فكيف تصح رواية أنها خرجت من العدة فتزوجت مع أن الفاصل بين وفاة الحسن المثنى وبين مجيء الفهري للمدينة واليا أكثر من أربع سنوات؟

وعلى كل حال فهذه الروايات لا يمكن قبولها، للتهافت الموجود في مضمونها.

عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية

زوجة المختار الثقفي

شهيدة بيد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ

شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا!! إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته.. والله لا يكون، آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب!! اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته.

عمرة بنت النعمان عندما قدمت للقتل

❁❁❁

يمكن تصنيف العلاقة بين الأنصار من جهة وبين قريش ـ باستثناء أهل البيت عليهم السلام والمتأثرين بهم ـ من جهة أخرى، بأنها لم تكن صافية تماما، ولذلك ما أن تجد لها مظهرا تتجلى فيه، حتى يلحظ المراقب مظاهر الكدر قد طفت على السطح، هذا مع سعي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الدائم، لتصفية الجو، وصنع الإخاء بين الفريقين.. إلا أن الأمر كان واضحا من بدايته، وكان هناك شعور بالتفوق لدى القرشيين الذين جاؤوا للمدينة، وربما محاولة فرضه في أحيان كثيرة. وهذا الأمر كان أوضح من غيره في بني أمية وحلفائهم، الذين ظهر منهم بعد ولايتهم الشيء الكثير في هذا

الصعيد.

وكانت حادثة السقيفة وما جرى فيها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نقطة الافتراق الواضحة بين التيار القرشي الحاكم وبين الأنصار الذين تعاطف غالبهم في ذلك الوقت ـ وإن كان على مستوى الموقف النفسي ـ مع أهل البيت عليهم السلام[١]، واصبحوا يشعرون أنهم شركاء في المظلومية، وحلفاء في الابعاد والتجاهل.

وبالرغم من أن قسما قليلا من الأنصار (مثل معاذ بن جبل، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد) قد تحالفوا من البداية مع ذلك الخط القرشي الذي أصبح حاكما فيما بعد، وقد أخذوا ثمن ذلك التحالف بالنسبة لأشخاصهم ولكن لم يتعد الأمر هذا المقدار، وأصبح الأنصار في ذيل القائمة، وربما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر بعين البصيرة إلى هذا الأمر، فكان يكثر من الوصية بالأنصار. وهم وأهل البيت كانوا شركاء في أن النبي أوصى بهم[٢]، وكأنه كان يقرأ المستقبل.

---

(١)كان علي عليه السلام دائم التشكي من قريش فهو يقول في خطبة ١٧٢ و ٢١٧ من النهج «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري..».

(٢)مع أن النبي أوصى بالفئتين (الأنصار وأهل البيت) إلا أن الفرق هو أنه أوصى بالأنصار «أن يحسن إلى محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم» بينما أوصى الأمة بأهل البيت أن يُتبعوا، ويُهتدى بأقوالهم وأن يقدموا في مواقع القيادة.. والعجيب أن كلتا الوصيتين لم تفذ من قبل الحاكمين لا سيما في العصور المتأخرة!!

عندما وصلت الخلافة الظاهرية لأمير المؤمنين علـي عليه السلام، تنفس الأنصار الصعداء فهاهم يجدون عودة عهـد الـنبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام، فأقبلوا عليه مستدركين ما فاتهم من حظهم بفـوات إمامته.

من بين هذه الجموع كان من الأنصار من لم يزل على هـوى بني أمية، فما أن ولي علي عليه السلام إمرة النـاس باختيـارهم العـام، حتى هُرع بقميص عثمان إلى معاوية رسولا مـن زوجـة عثمـان نائلة بنت الفرافصة، لينشره معاويـة بـين النـاس فيبكـيهم إثـر الصلاة، ويبكي معهم في الملأ، (ويضحك) ساخرا مـن عقـولهم في الخلاء..

والتحق النعمان بـن بـشير بـشكل رسمـي بمعاويـة وبـالخط الأموي، ليس معه غير مسلمة بن مخلـد، وكـان هـذا هـو حـظ معاوية من مجتمع الأنصار!!

كان التحاق هؤلاء بـالخط الأمـوي خروجـا علـى المـألوف، وبقي في حدوده الضيقة فلم يؤثر حـتى في أقـرب النـاس إلـيهم كعوائلهم، فنحن نجد أن ابنة النعمان وهي عمرة والتي تزوجهـا المختار بن أبي عبيدة الثقفي قد بقيت على ولاء أهل البيـت، إلى أن وصلت إلى الشهادة ثابتة على هذا الخط.

وقامـت صـفين وجمـع الأنـصار إلى جانـب أمـير المـؤمنين يتسابقون إلى القتال حتى ضاق معاوية بهم ذرعا ودعا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد فقـال: يـا هـذان مـا لقيـت مـن الأوس والخزرج صاروا واضـعي سـيوفهم علـى عـواتقهم يـدعون إلى النزال حتى والله جبّنوا أصحابي الشجاع منهم والجبان حتى والله

ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار أما والله لأعبيّن لكل فارس منهم فارسا ينشب في حلقه ثم لألقينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل!!

وكان أفضل ما يصنع النعمان ـ لو استطاع ـ أن يفت في عضد الأنصار وأن يخذلهم عن أمير المؤمنين عليه السلام فجاء حتى وقف بين الصفين فقال: يا قيس أنا النعمان بن بشير. قال قيس: ما حاجتك. قال: يا قيس إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم المدينة؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل وإقحامكم على خيولكم أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياّ! ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتم إلى البراز ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلا وهونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم فاتقوا الله في البقية!!

قال: فضحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه وأنت والله الغاش الضال المضل !!

وأما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث.

وأما معاوية فو الله لئن اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار وأما قولك إنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحروب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا

حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقا أو اعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور؟

انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصاريا غيرك وغير صويحبك ولستما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك!

ورد معاوية لهم هذا الموقف عندما حصل له الملك، وجاء إلى المدينة (مستعرضا انتصاره)، ودار بينه وبين قيس بن سعد بن عبادة حوار ساخن فقد قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا في خلافته فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذين استقبلوه ما منهم (إلا) قرشي فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالهم لم يستقبلوني؟ فقيل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب!! قال معاوية (ساخرا): وأين نواضحهم؟؟

فقال قيس بن سعد بن عبادة وكان سيد الأنصار وابن سيدها: أفنوها يوم بدر واحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله ﷺ حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون فسكت معاوية.[1]

---

(١) بحار الأنوار ٤٠/ ١٢٤.

كافأ معاويةُ النعمانَ ـ وهو عملة نادرة من الأنصار إلى جانبه ـ على ما فعل بأن عينه قاضيا في دمشق في البداية سنة ٥٣ هـ، ثم ولاه الكوفة وبقي فيها إلى أن عزل أيام يزيد بعبيد الله بن زياد.

مع هذا السجل غير المشرف نجد مواقف تحمد للنعمان أيضا، مثل ما قاله ليزيد عندما أوقف سبايا أهل البيت أمامه في الشام بعد أن استشهد الرجال في كربلاء، وسأل أصحابه عما يعمل بهم، فأشار بعضهم عليه بالقتل، وهنا قال النعمان بن بشير: اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله![1]، وتولى أمرهم بنحو طيب عندما أوكلت إليه مهمة إعادة السبايا إلى المدينة.لكن هذا لم يكن لينفعه وهو صاحب الموقف المنسجم مع الأمويين طيلة عمره..

وكما قلنا، كان النعمان يشكل حالة أموية شاذة في المجتمع الأنصاري، فإنه لم يستطع التأثير فيمن حوله، حتى ابنته عمرة فقد كانت هذه تراقب الأوضاع بوعي، وتشخص الموقف السليم الذي ينبغي أن يتخذ، لذلك ما أن قام المختار بن أبي عبيدة الثقفي (زوجها) بحركته الثأرية، حتى وقفت مناصرة له، وهي تعلم بأن الدخول في هذا المعترك سوف يكون له الثمن الباهظ، الذي قد ينتهي إلى شهادة زوجها وترملها، وربما إلى شهادتها أيضا.



(١) بحار الأنوار ٤١/ ١٣٥.

بعد أن عاد بقايا التوابين من حركتهم الاستشهادية الثورية، كتب إليهم المختار الثقفي من سجنه «أما بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلين، إنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة،إلى ما لا يحصيه إلا الله من التضعيف فابشروا فإني لو خرجت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاما وقتلتهم فذا وتؤاما فرحب الله بما قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى، والسلام يا أهل الهدى..»..

فردا عليه الجواب ـ في سجنه ـ «قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا».. فقال للرسول: لا تريدوا هذا فإني أخرج في أيامي هذه.. واستفاد المختار من مصاهرته لعبد الله بن عمر في ترتيب أمر خروجه من السجن.. ليجمع الأنصار في الكوفة تدريجيا للسيطرة عليها، وأحس عبد الله بن مطيع ـ والي بن الزبير على الكوفة ـ بالأمر فقام في الناس خطيبا، وقال «أما بعد فإن أمير المؤمنين!! عبد الله بن الزبير قد بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وألا أحمل فضل فيئكم إلا برضا منكم، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني..!».

كان هذا الخطاب من ابن مطيع الذي تولى لتوه أمر الكوفة

بعد واليها الزبيري السابق، تحديا بكل المقاييس للمجتمع الكوفي الذي كان يصنف على أنه موال لأهل البيت ولو في مستوى الموقف النفسي، فإن إغفال ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام كان واضحا خصوصا أنه يأتي متوافقا مع ما سمعه الناس من ترك بن الزبير الصلاة على النبي ستة أشهر عنادا لأهل البيت عليهم السلام.

فقام السائب بن مالك الأشعري وقال: أما أمر بن الزبير إياك ألا تحمل فضل فيئنا عنا إلا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا، وألا يقسم إلا فينا، وألا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة عليه، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا، ولا في أنفسنا، فإنها إنما كانت أثرة وهوى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرا وقد كان لا يألو الناس خيرا..[1]

كانت الأمور تتسارع خارج سيطرة ابن مطيع والخط الزبيري، بينما كان يشتد أمر المختار ويلتف حوله الطالبون بثأر الحسين عليه السلام، بينما التف القتلة والمجرمون الخائفون من هذه الحركة حول الزبيريين.. وهكذا تردد في الكوفة أصداء «يا لثارات الحسين، يا منصور أمت». كانت المواجهة بين مؤمنين مندفعين إلى التكفير عن التقصير يقودهم سياسي كيّس ذكي بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام وفي مقدمتهم قائد عسكري ورث من أبيه الأشتر معاني الشجاعة والبطولة والتدبير العسكري،

(١)تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٥ خبر سنة ٦٦ هـ.

وبين قتلة يركضون وراء الحياة والبقاء، ويقاتلون من أجل المناصب، وكانت النتيجة معروفة.. فانتصر جند المختار بعد معارك كثيرة واشتباكات في السكك والأزقة وحصروا الوالي الزبيري الذي نزل متنكرا ثم اختفى في بيت وترك القصر هاربا.

ودارت الدائرة على قتلة الحسين عليه السلام..

فعمرو بن الحجاج الزبيدي: هرب في أثناء القتال من جيش المختار الثقفي فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ في طريق شراف وواقصة فلم ير حتى الساعة كما يقول الطبري في حوادث سنة ٦٦ هـ، فلا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته.

وشمر بن ذي الجوشن: هرب من الكوفة حتى إذا وصل قرية تسمى الكلتانية وجد علجا هناك فضربه وقال: النجاء بكتابي هذا إلى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل قرية فيها أبو عمرة، ورأى علجا آخر فأخذ يشكو إليه ما لقي من شمر وسمعه رجل من أصحاب أبي عمرة ورأى كتابه فسأل عن مكانه فدل عليه وذهبوا إليه.

وعبد الله بن أسيد بن النزال الجهني و مالك بن النسير البدي و حمل بن مالك المحاربي: هربوا إلى القادسية فأرسل المختار خلفه، وجيء بهم إليه فقال: يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين بن علي؟ أدوا إلي الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة، قالوا: بعثنا ونحن كارهون فامنن علينا واستبقنا، فقال: فهلا مننتم على الحسين واستبقيتموه وسقيتموه.. فسأل البدي: أنت صاحب برنسه؟ قيل له نعم: فقال: اقطعوا يدي هذا ورجليه ودعوه فليضطرب

حتى يموت ففعل به ذلك وترك.وقدم الآخران فقتلا.

و خولى بن يزيد الأصبحي بعث خلفه معاذ بـن هـانئ بـن عدي (ابن أخي حجر) فجاؤوا بيته، وسـألوا امرأتـه فقالـت: لا أدري ـ وأشارت بيدها إلى موضعه ـ فوجدوه قد وضـع قوصـرة على رأسه.. فجاؤوا به إلى المختار وأحرق بالنار.

و عمر بن سعد: وكان قد أخذ الأمان مـن المختـار وأعطـاه ذلك (إلا أن يحدث حدثا) فكان أبو جعفر يقول: أما أمان المختار لعمر بن سعد ألا يحدث حدثا فإنه كان يريد بـه إذا دخـل بيـت الخلاء فأحدث. فأمر أبا عمرة فقتله ثم قتل أبنه حفص.

و حكيم بن الطفيل السنبسي: وكـان يقـول تعلـق سـهمي بسرباله وما ضره شيء فقبض عليه وأراد أهله أن يوسطوا أحدا عند المختار، فقال من قبض عليه لعبد الله بـن كامـل نخـشى أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث، فـدعنا نقتلـه فقـال شأنكم به، فنصبوه غرضا ورموه بالسهام إلى أن هلك.

وزيد بن الرقاد (الجنبي) وكان قال رميت منـهم فـتى بـسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فاثبت كفـه فيهـا وهـو عبد الله بن مسلم بـن عقيـل، فأحـاطوا بـداره وخـرج علـيهم مصلتا بسيفه فقال بن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل، وارجموه بالحجارة ففعلوا بـه ذلـك، وسـقط على الأرض وبه رمق فأحرقوه بالنار

و عبيد الله بن زياد: قال ابراهيم الاشتر: قتلت رجلا شرقت يداه وغربت رجلاه تحت رايـة منفـردة علـى شـاطئ نهـر خـازر

فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا، ضـربه فقـده نـصفين. وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحـصين بـن نمـير فقتلـه و محمد بن الأشعث قتل في حملة مصعب بـن الـزبير علـى جنـود المختار في الكوفة.

وفرح آل محمد وشيعتهم بالأخـذ بالثـأر.. فعـن أبي جعفـر الباقر عليه السلام: لا تسبوا المختـار فإنـه قتـل قتلتنـا وطلـب بثأرنـا وزوج أراملنـا وقـسم فينـا المـال علـى العـسرة.[1] وعـن

---

(١)الكشي بسنده عن حمدويه عن يعقوب عن ابن ابي عمير وهم ثقات عن هشام بن المثنى وهو وإن لم يوثق توثيقا خاصا إلا أنه ممن روى عنه المشايخ الثقات عن سدير والد حنان وهو ممدوح وممن روى عنه المشايخ الثقات، وقد استحسن هذا الطريق في الخلاصة وكذا السيد بن طاووس.

١ / رواه الكشي عن ابراهيم بن محمد بن العباس الختلي (وهو ممدوح) عن أحمد ابن ادريس عن محمد ابن احمد عن الحسن بن علي (بن عبد الله بن المغيرة) عن العباس بن عامر عن سيف بن عميرة عن جارود بن المنذر (هؤلاء تقات اماميون).

يلاحظ أن في كتب الرجال هناك روايات يستفاد منها ذم المختار بن أبي عبيدة فمنها ما رواه جبرئيل بن احمد عن العنبري عن محمد بن عمرو عن يونس بن يعقوب عن أبي جعفر عليه السلام: كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين وبعث إليه بهدايا من العراق فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليه رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم.

وفيه أن جبرئيل بن أحمد وهو الفاريابي لم يوثق، والعنبري لا ذكر له

الصادق عليه السلام بسند حسن: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا

في الرجال ويحتمل أن يكون العبيدي محمد بن عيسى وهو ثقة، والمشكلة أيضا في رواية يونس بن يعقوب وهو من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام وتوفي في زمن الإمام الرضا ولم يرو عن الباقر عليه السلام أصلا، وإنما رواياته عن الباقر إما بالواسطة كما يلحظ المتتبع في الكافي والتهذيب أو مرفوعة عن الإمام الباقر كما في أصول الكافي، ولم ترد ولا رواية واحدة عنه عن الإمام الباقر، وأن يكون (أبو جعفر) في الرواية مقصودا به الجواد غير محتمل لوفاة يونس في زمن الرضا. فهذه الرواية مرفوعة للإمام الباقر ولا يمكن الاعتماد عليها.

وهناك روايات أخرى لو سلمت من المناقشة السندية، فإنه يمكن توجيهها بالتقية حيث أن سلطنة المختار لم تكن شاملة، وكان الإمام السجاد عليه السلام يعلم ـ حتى بالمقاييس الطبيعية للحكم على الاشياء ـ فضلا عن علم الإمامة أن أمر المختار لا يتم، فلم يكن من الصالح إظهار التأييد العلني له، أو بيان علاقته به. كما يمكن الجمع بين الروايات التي تشير إلى رفض الإمام استقباله وبين الروايات المادحة له بما ذكره ابن نما، من أن أنصار المختار جاؤوا لمحمد بن الحنفية طالبين منه النصر والتأييد، فجاء بهم إلى الإمام زين العابدين وعرض عليه أمرهم، فقال عليه السلام: يا عم لو أن عبدا اسود تعصب لنا اهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت.. وقد لا يحتمل وضع الكتاب هذا مزيدا من التحقيق في الروايات، فيمكن لمن أراد المزيد من التفصيل مراجعة تنقيح المقال للعلامة المامقاني، وتنزيه المختار للمحقق السيد المقرم وهو مطبوع في آخر كتابه زيد الشهيد.

الحسين عليه السلام.[1]

---

(١)رواه الكشي عن ابراهيم بن محمد بن العباس الختلي (وهو ممدوح) عن أحمد ابن ادريس عن محمد ابن احمد عن الحسن بن علي (بن عبد الله بن المغيرة) عن العباس بن عامر عن سيف بن عميرة عن جارود بن المنذر (هؤلاء تقات اماميون).

يلاحظ أن في كتب الرجال هناك روايات يستفاد منها ذم المختار بن ابي عبيدة فمنها ما رواه جبرئيل بن احمد عن العنبري عن محمد بن عمرو عن يونس بن يعقوب عن أبي جعفر عليه السلام: كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين وبعث إليه بهدايا من العراق فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليه رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين ولا أقرأ كتبهم.

وفيه أن جبرئيل بن أحمد وهو الفاريابي لم يوثق، والعنبري لا ذكر له في الرجال ويحتمل أن يكون العبيدي محمد بن عيسى وهو ثقة، والمشكلة أيضا في رواية يونس بن يعقوب وهو من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام وتوفي في زمن الإمام الرضا ولم يرو عن الباقر عليه السلام أصلا، وإنما رواياته عن الباقر إما بالواسطة كما يلحظ المتتبع في الكافي والتهذيب أو مرفوعة عن الإمام الباقر كما في أصول الكافي، ولم ترد ولا رواية واحدة عنه عن الإمام الباقر، وأن يكون (أبو جعفر) في الرواية مقصودا به الجواد غير محتمل لوفاة يونس في زمن الرضا. فهذه الرواية مرفوعة للإمام الباقر ولا يمكن الاعتماد عليها.

وهناك روايات أخرى لو سلمت من المناقشة السندية، فإنه يمكن توجيهها بالتقية حيث أن سلطنة المختار لم تكن شاملة، وكان الإمام السجاد عليه السلام يعلم ـ حتى بالمقاييس الطبيعية للحكم على الأشياء ـ

وقد تعرض المختار الثقفي أثناء ثورته وبعد مقتله على يد جيوش مصعب بن الزبير إلى حملة تشكيك ظالمة اشترك فيها أعداء أهل البيت من الأمويين الذين انتقم منهم ومن أنصارهم، ومن الزبيريين الذين ثار على واليهم في الكوفة وهم الذين تحالفوا فيما بعد مع من استطاع الهرب من قتلة الحسين عليه السلام.. وعملوا على تلك الحملة بشكل دقيق ومستمر مما جعل أثرها يبقى إلى الآن في كتب التاريخ والأدب. فتارة يصورونه بأنه ادعى النبوة وأن الوحي ينزل عليه وأخرى يتهمونه بأنه من الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية، ولا أدري (ولا المنجم يدري) كيف يجتمع ادعاء النبوة مع اتّباع محمد بن الحنفية؟ والمشكلة التي ساعدت على انتشار مثل هذه التهم أن الظرف الذي كان يمر به الإمام زين العابدين لم يكن ليسمح له بإظهار علاقة المختار به..

فضلا عن علم الإمامة أن أمر المختار لا يتم، فلم يكن من الصالح إظهار التأييد العلني له، أو بيان علاقته به. كما يمكن الجمع بين الروايات التي تشير إلى رفض الإمام استقباله وبين الروايات المادحة له بما ذكره ابن نما، من أن أنصار المختار جاؤوا لمحمد بن الحنفية طالبين منه النصر والتأييد، فجاء بهم إلى الإمام زين العابدين وعرض عليه أمرهم، فقال عليه السلام: يا عم لو أن عبدا اسود تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت.. وقد لا يحتمل وضع الكتاب هذا مزيدا من التحقيق في الروايات، فيمكن لمن أراد المزيد من التفصيل مراجعة تنقيح المقال للعلامة المامقاني، وتنزيه المختار للمحقق السيد المقرم وهو مطبوع في آخر كتابه زيد الشهيد.

وجاءت جيوش مصعب بن الزبير إلى الكوفة، واستطاعت التغلب بعد جولات حامية أن تتغلب على جيش المختار وأن تحاصر المختار في قصر الإمارة، ومنعت عنهم الزاد والطعام، حتى اضطروا إلى شرب ماء البئر يخلطون به بقايا العسل والسكر لديهم، ويقاتلون برهة ثم يرجعون إلى القصر، إلى أن لم يبق معه إلا تسعة عشر نفرا فخرج فيهم إلى القتال قائلا: «والله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي».. وقاتل حتى استشهد.

وجاء البطل!! مصعب بن الزبير الذي لم يكن ليفوقه في البطولة إلا أخوه عبد الله حين عدا على الشيوخ الكبار من أهل البيت عليهم السلام في المدينة مريدا إحراقهم أحياء لأنهم لم يناصروه!! وبعث إلى زوجات المختار الثقفي.. ودعاهن إلى البراءة منه، ففعلن ذلك إلا حرمتين له: أم ثابت بنت سمرة بن جندب، وعمرة بنت النعمان بن بشير وقالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله، كان صائم نهاره قائم ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وشيعته؟ فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس!!

هذا سباق البطولة والشهامة.. لو كان هناك مشتر يعرف سلعة هذه السوق، لكن لم يكن من الحضور إلا من يبيع ويشتري في سوق اللؤم والخسة والحقارة! عليهم ثياب النبلاء ربما لتخفي حقائق الدناءة عن الأنظار..

فكتب مصعب بن الزبير إلى أخيه (أمير المؤمنين!! جدا) عبد الله بن الزبير يخبره بخبرهما!! نعم فهذه قضية تمس الأمن القومي والإسلامي العام، وتؤثر على مستقبل انتشار الدين!!

بلى وأكثر من ذلك؟ فكيف يقبل الزبيريون في دولة يسيطرون عليها وجود زوجة تمدح زوجها! هذا يستلزم رسولا يطوي المسافة من الكوفة إلى المدينة ومكة، ورسولا يأتي بكتاب وفرمان من (أمير المؤمنين!!) عبد الله بن الزبير.. أرأيت إمارة المؤمنين.؟ أرايت مهمات أمير المؤمنين!! فكتب إليه أخوه عبد الله: إن هما رجعتا عما هما عليه!! وتبرأتا منه وإلا فاقتلهما..

وجاء الرسول بحل المشكلة.. فعرضهما على السيف وسأل بنت سمرة عن رأيها في المختار ودعاها إلى البراءة منه ففعلت وقالت لو دعوتموني إلى الكفر مع السيف لكفرت.

وجاءت عمرة الأنصارية التي أدت شبه الأنصار، والمرء يرجع إلى أصله، والذهب يكشف عن نفسه، فسألها عن قولها في المختار زوجها، فقالت المرأة الكاملة كلاما لو عقله ذلك الرجل الناقص مصعب، لهان عليه أن يدفن نفسه في التراب، كما دُفن ذكره في الوحل والقذارة. قالت: شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا!! إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته.. والله لا يكون، آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب!! اللهم اشهد أني متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته.

لم يستطع مصعب أن يتحمل سهام الكلام، وهو ينظر إلى صغر نفسه أمام عظمة تلك المرأة، ودناءة مطالب حياته أمام سمو الأهداف الرسالية التي عبرت عنها عمرة، وجدية السعي الأخروي لديها أمام عبثية الجهد الدنيوي عنده.. فقدمها للقتل صبرا، فضربت بالسيف ثلاث ضربات، وعرجت روحها لتصافح روح النبي الكريم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله

عليهم.

واستُعظِم فعل مصعب، لا لكونه عظيما وإن كان قد يأتي الحقير بفعلٍ عظيم، وإنما لكونه آثما، ولا سابق له إلا في فعل الأمويين.. لذلك رُثيت من قبل الشعراء، ذاهلين من هذا الفعل.. فمتى كان قتل النساء ـ لالتزامهن برأي ـ يعد بطولة؟ وقال عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب الأعاجيب عندي

قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلما على غير جرم

إن لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا

وعلى المحصنات جر الذيول[1]

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

أتاني بأن الملحدين توافقوا على

قتلها لا جُنبوا القتل والسلب

فلا هنأت آلَ الزبير معيشةٌ وذاقوا

---

(١)مروج الذهب ٣/ ١٠٠.

لبـــاس الـــذل والخـــوف والحـــرب

كــــأنهمُ إذا أبرزوهـــــا وقطعـــــــــت

بأسيافهم فازوا بمملكة العـــرب!!

ألم تعجب الأقوام من قتـل حـرة مـن

المحـــصنات الـــدين محمـــودة الأدب

مــن الغــافلات المؤمنـات بريئـــة مــن

الذم والبهتان والشك والكـذب[1]

(١)تاريخ الطبري ٣/ ٤٩٤.

أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر

والدة الإمام الصادق عليه السلام

«كانت أمي ممن آمنت واتقت وأحسنت والله يحب المحسنين»

الإمام الصادق عليه السلام

لا يقدر أثرَ التربية والتوجيه إلا العارفون. فهؤلاء لا ينظرون إلى الحاضر وما فيه من تعقيدات ومشاكل، وإنما ينظرون إلى المستقبل وما سينتجه من خير وبركة وما سيخلفه توجيههم على الأجيال.

هذا ما نلحظه في اثر تربية أمير المؤمنين علي بن أبي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر، الذي كان في حجر علي منذ بدايات طفولته بعد أن توفي والده أبو بكر وتزوج أمير المؤمنين بأمه أسماء بنت عميس، وتدرج محمد في مدرسة الإمام تلميذا نجيبا يخرج من مرحلة ليرقى مرحلة أعلى وأسمى حتى صار (محمد ابني من صلب أبي بكر) كما نقل عن أمير المؤمنين. وجاءت دولة الإمام ليكون فيها محمد جنديا شجاعا ومخلصا لإمام ه فشارك في سلمه كما شارك في حربه إلى أن استشهد محمد على يد أعوان معاوية، بعدما أرسل إلى مصر واليا عليها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام.

بالرغم من قصر حياة محمد إلا أن التربية التي تلقاها على يد أمير المؤمنين صاغت خط حياته سبيكة ذهب صفاء. وقد نقل بدوره ذلك الانتماء إلى أبنائه، ولذلك وجدنا القاسم ابنه وجابرا[١] يكونان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، بل يوصف الأول في بعض الروايات بأنه من ثقات[٢] السجاد تارة وأنه كان على هذا الأمر[٣] أخرى.

ويظهر أنه بمقدار ما كان من أصحاب الإمام السجاد، وأنه اختص به إلى حد أنه يرى أن أمر ابنته أم فروة إنما هو بيد الإمام لا بيده نفسه ، فقد كان منفتحا على الأفق الآخر، من خلال عمته عائشة أم المؤمنين، فقد أخذ عنها علما كثيرا، حتى لقد قيل انه كان أعلم الناس بحديثها[٤].

---

(١)عده الشيخ الطوسي من أصحاب السجاد عليه السلام.

(٢)في باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ذكر الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن أحمد عن ابراهيم بن الحسن قال حدثني وهب بن حفص عن اسحاق بن جرير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام كان سعيج بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام.. وقد يضعف الحديث لمكان ابراهيم بن الحسن كما ذكر في معجم رجال الحديث.

(٣)قاموس الرجال ج ٨ عن قرب الاسناد للحميري: عن ابن عيسى عن البزنطي قال: ذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد وسعيد بن المسيب فقال: كانا على هذا الأمر.

(٤)مسند ابن راهويه وتاريخ دمشق.. لكن الغريب أنهم يقولون أنه

ذات يوم جاء الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام خاطبا إلى القاسم بن محمد ابنته أم فروة (فاطمة) فقال القاسم: إنما كان ينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتى يزوجك!! [1] وبذلك فقد فوض أمر ابنته إلى الإمام السجاد عليه السلام. وفي هذا اشارة واضحة إلى شدة العلاقة والملازمة بينه وبين الإمام عليه السلام. فلم يكن من أصحاب الإمام بالمعنى العام للصحبة، وإنما كانت صحبته بهذا المستوى.

ولا نعلم هل أن زواج ابنته الأخرى وهي أم حكيم التي تزوجها اسحاق[2] بن عبد الله بن جعفر (بن أبي طالب) وأنجبت له القاسم وهو والد (أبي هاشم الجعفري) هل كان ذلك الزواج أيضا من خلال توجيه الإمام السجاد أو لا؟

كان اختيار الإمام الباقر عليه السلام مناسبا ولذلك كان طبيعيا أن يتم الزواج الذي أوكل إلى أبيه السجاد عليه السلام، وجاءت أم فروة إلى بيت الإمام الباقر، لكي تعايش من قرب علم رسول الله،

روى عنها (٨١) أو (٨٨) حديثا!! ويمكن أن يجمع بين الأمرين بأنه أعلم الناس بحديثها لكنه لم يحدث به ولم يظهره إلا بهذا المقدار..

(١)قاموس الرجال / ٨ عن قرب الاسناد ص ١٥٧.

(٢)اسحاق بن عبد الله من أصحاب الإمام الصادق وكان مقدما عند السلطان، وكذلك ابنه القاسم، وأما داود (أبو هاشم) فهو من الطبقة العالية من أصحاب الأئمة (الرضا والجواد والهادي والعسكري) وكان ذا لسان وشجاعة وله شعر قوي وهو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة.. وقد ذكرنا شيئا من ترجمته في (رجال حول أهل البيت).

وتعب من ذلك المنهل، وقد أهلها لذلك أنها كانت «ممن آمنت واتقت وأحسنت والله يحب المحسنين»[١].. ذلك الإيمان والإحسان أهلها لأن تكون من حملة العلم الإمامي العلوي والمحمدي وهي مرتبة لا تنال إلا للخواص، ذلك أن العلم النبوي قد فرق على الناس بما يشبه (رش المطر) ولكن عند أهل البيت أصوله، ومنابعه[٢].

وقد رزقها الله فهما حسنا وذكاءا كثيرا، فظلت تتلقى عن الباقر عليه السلام علوم أجداده الطاهرين ولذلك لم تكن بحاجة بعد هذا إلى أن تأخذ مما أناله الرسول صلى الله عليه وآله لعامة الناس.. لقد استغنت بما أغناها الله به من علوم أهل البيت.. وذات مرة كانت تطوف وهي متنكرة ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾[٣]، قال عبد الأعلى: رأيت أم فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكرة فاستلمت الحجر بيدها اليسرى فقال لها رجل ممن يطوف: يا أمة الله أخطأت السنة، فقالت: إنا لأغنياء عن علمك[٤].

وهذا العلم الذي كانت تنشره حيث تجد أرض غراس طيبة،

---

(١)في رواية الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢)في الاختصاص للشيخ المفيد ص ٣٠٨: عن الإمام الصادق عليه السلام: إن رسول الله أنال وأنال ـ يشير كذا وكذا ـ وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه وضياؤه وأواخيه.

(٣)سورة الأحزاب: ٥٩.

(٤)الكافي ج ٤ ص ٤٢٨: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن النعمان، عن داود بن فرقد، عن عبد الأعلى والسند صحيح.

ولذلك لما جاءت إلى بيتها مولاتها سعيدة[1] فقد استفادت هذه من أم فروة الكثير من العلم والأدب حتى بلغت مبلغا عاليا من الإيمان والمعرفة الدينية.

❁❁❁

وإذا كانت ترى زوجة الإمام عليه السلام حجم المعاناة التي يواجهها أئمة أهل البيت عليهم السلام، فتسمع ما صنع بالإمام الحسن عليه السلام، وكيف قتل الحسين عليه السلام، وترى مقدار المضايقات التي يتعرض لها والد زوجها الإمام السجاد عليه السلام من بني أمية، وأيضا زوجها الباقر فتتألم بصمت فهي لا تريد أن تعيد إنتاج الألم، ولا تريد تكراره في حياتهم.

كما أنها تلحظ حالة المظلومية التي تلف الوضع الشيعي، من إبعاد شيعة أهل البيت عن المواقع المناسبة إلى حرمانهم من العطاء الذي هو حقهم كما هو حق غيرهم، والنظرة الماقتة لدى الكثير من أبناء الأمة تجاه هذه الطليعة وكأنهم (بتشيعهم وحبهم لآل بيت النبي) قد ارتكبوا إثما عظيما وجرما خطيرا حتى أخذوا على الظنة وقتلوا على التهمة!! وقد صدق الشاعر الذي صور هذا المعنى:

إن اليهود بحبها لنبيها أمنت بوائق دهرها الخوان

وكذا النصارى حبهم لنبيهم يمشون زهوا في قرى نجران

---

(١)سوف يأتي بعض الحديث عنها في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

والمسلمون بحب آل نبيهم يرمون في الآفاق بالنيران

وتتأمل في صبر الأئمة الذين هم مضرب المثل، والأسوة والقدوة في كل تلك الحالات.. فتتعجب ويحق لها ذلك، ويأتيها هدي الإمام الباقر عليه السلام مبينا لها سر صبرهم، وأن صبر شيعتهم أكثر: فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام ناقلا عن أمه أم فروة عن أبيه الباقر عليه السلام «قالت امي: قال أبي: يا أم فروة إني لأدعو الله لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرة، لأنا نحن فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب وهم يصبرون على ما لا يعلمون»[1].

---

(١)الكافي ١/ ٥٣٩.

فاطمة بنت علي بن الحسين زين العابدين عليها السلام

وُلد لعلي بن الحسين عليه السلام خمسة عشر ولدا: مولانا محمد الباقر عليه السلام أمه أم الحسن بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وعبد الله، والحسن والحسين، وأمهم أم ولد، وزيد وعمر، لأم ولد، والحسين الاصغر وعبد الرحمن وسليمان لأم ولد، وعلي وكان أصغر ولده، وخديجة أمهما أم ولد، ومحمد الاصغر أمه أم ولد، وفاطمة، وعلية، وأم كلثوم أمهن أم ولد.

والعقب من ولد زين العابدين عليه السلام في ستة رجال: مولانا الباقر، وعبد الله الأرقط وعمر، وعلي، والحسين الأصغر، وزيد.

«بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا» كلمة قالها أمير المؤمنين عليه السلام ووجدنا تأويلها في أبنائه الطاهرين، أولئك الذي ظلت سيوف البغي تقتطف منهم الرؤوس حتى صار «القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة»!

وإذا كانت كربلاء قد ظفرت بـ (تسعة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل)[1] فما ظفر الإثم بأحد منهم ولا

---

(١)هناك اختلاف في العدد الذي يذكر في بيت فاطمة بنت عقيل، ولعله راجع إلى النظر إلى المقتولين من صلب علي عليه السلام مباشرة أو مع ملاحظة الواسطة.

النسيان تعدى لسيد.

هذا زين العابدين السجاد علي بن الحسين عليه السلام يعود إلى مدينة جده مثقلا بالأسى، بركب ليس فيه غير الشاكلات تجاوبها الدامعات. (ما مررت على بيت من بيوت آل أبي طالب إلا وخنقتني العبرة فإني أجدها خالية)..

لا بأس يا ابن الحسين!! ما سيأتي إلى الزمان على يديك، من نفحات الله سبحانه يمسح مسحة الحزن هذه، بغيث البركة، ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ويعود الباغي الطاغي نادما، ويصبح ذلك درسا لمن شاء أن يعتبر من أهل الطغيان[1].

عاد زين العابدين ليملأ جو المدينة النبوية معنوية أخلاقية، ويعلم الناس طريقا صحيحا للوصول إلى الله، فما أسهل الوصول لو كان يُعرف الطريق!

كان الأعداء يتصورون أنهم (لن يبقوا لهذا البيت باقية) ولم يكن البيت واحدا، ولم يكن أثرا خارجيا وإنما ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾. وكان الحسين عليه السلام (ينظر بنور الله) إلى المستقبل عندما قال لأخته زينب عليها السلام وقد نهض ابنه علي السجاد للقتال بعدما سمع استغاثة أبيه: احبسيه لئلا

(١)أرسل عبد الملك بن مروان للحجاج الثقفي «.. جنبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت آل حرب لما تهجموا بها لم ينصروا».. يراجع اليعقوبي ج ٢.

تخلو الأرض من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

عاد الإمام زين العابدين علي السجاد، ليملأ تلك الأرض الطيبة من هدي جده، وما لبثنا إلا برهة حتى رأينا كيف تكشف الأرض الطيبة عن كنوزها، وتستخرج البركة معادنها.. من أبناء زين العابدين بقية الماضين، يخرج زيد بن علي واحدُ الناس في العلم والشجاعة والشهادة أخيرا، الذي اقتدى بجده وأكد في الأمة خط الجهاد والثورة، فأصبح راية تجمع حولها الثائرين، وسيفا مصلتا على رقاب الظالمين ورعبا في قلوب المنافقين. وتحول الفرد إلى مسيرة، ومنهج فعادت (الزيدية)[2] طريقا في التغيير والمقاومة، علامتها الفارقة الثورة على الظالمين.

ومن أبنائه أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام لذي بقر بطون العلوم، وشق عنها الحجاب وأظهر للناس علوم آبائه وأجداده الطاهرين، في وقت كانت الأمة أحوج ما تكون إلى العلم الأصيل

---

(١)مقتل الحسين للمقرم ص ٢٧١، ولم يكن المقصود من ذلك ان تنقطع ذرية النبي نسبا، فإنه من المعلوم وجود عدد غير قليل من أحفاد رسول الله لم يأتوا إلى كربلاء، ولكن المقصود هو أن لا تخلو الأرض من النسل الذي يشكل امتدادا فعليا لدور رسول الله في الإمامة والهداية وهذا إنما يتحقق في الأئمة المعصومين دون سواهم من ذرية الحسين فضلا عن عموم آل الرسول عليهم السلام. راجع كتاب من قضايا النهضة الحسينية للمؤلف.. في جواب السؤال عن معنى القول المذكور.

(٢)لسنا في صدد تقييم الزيدية كمذهب فيمكن للطالب أن يراجع الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني المجلد الخاص بالزيدية.

الصافي، بعدما دخلت في الإسلام أمم كثيرة وثقافات مختلفة، وكان الوضع الرسمي الحكومي ـ إضافة إلى انشغاله في الشهوات وغرقه في اللذات ـ غير مؤهل لمواجهة هذا الغزو الثقافي، فكان أن أنعم الله على الأمة بنسل رسول الله لحماية دين جده وصيانة أمة الإسلام.

والجميل أن أولاد زين العابدين حتى النساء منهن كن عالمات راويات فقيهات، وهن بذلك يعطين صورة عن المرأة المسلمة حين ترتقي في سلم العلم والمعرفة، وكيف أنها حينئذ تكون أفضل من عشرات الرجال الجهلة، فقد كان لديه عليه السلام بنت تسمى علية وهذه لها كتاب يرويه عنها زرارة بن أعين الشيباني كما في رجال النجاشي وله ابنة أخرى ، والأخرى وهي خديجة وكانت من الراويات فقد نقل عنها في تفسير ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزل قوله تعالى (وتعيها أذن واعية) سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي فجعلها[١]، وخبرها الآخر في أدب النياحة وإنه لا بد للمرأة الفاقد من أن تنوح ولكن ليس في الليل.

وأما فاطمة بنت علي السجاد عليه السلام فقد توجهت إلى رواية ما جاء في فضائل جدها أمير المؤمنين عليه السلام ناظرة إلى تلك الفترة الأموية القاتمة التي أرادت أن تطمس بظلماتها أنوار أمير المؤمنين. ذلك أنه قد اختط الأمويون سياسة زعموا أنها ستؤدي إلى إنهاء خط أهل البيت في الأمة من خلال صنع موجة تؤدي إلى إلغاء

(١)شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢.

ذكر أمير المؤمنين، سواء من قبل أتباعه الذين وصل بهم الحال إلى أنهم كانوا إذا أرادوا أن يحدثوا عنه قالوا حدثنا أبو زينب، وذلك بعد القرار الأموي الصادر أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب! أو من قبل أعدائه الذين كانوا ينتظرون فرصتهم تلك.فقام أهل البيت عليهم السلام حرصا منهم على هداية الناس إلى الصراط المستقيم فمن ذلك ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام حيث جمع الناس وقام فيهم خطيبا وناشدهم أن من يعرف فضيلة أو منقبة لعلي إلا ذكرها على الملأ وذكر هو بدوره ما ورد في حق أمير المؤمنين.

من هذا المنطلق توجهت فاطمة بنت علي بن الحسين السجاد إلى رواية مناقب أمير المؤمنين ـ لا لأجل الافتخار والمباهاة فما أبغضه من خلق جاهلي!! وما جاء الإسلام إلا لهدم هذه الحميات والعصبيات ـ وإنما لأجل إرشاد الضال وهداية الجاهل، فما ذنب هذا الجيل الجديد الذي نشأ في ظل تعتيم إعلامي أموي، وسياسة إطفاء لنور الله من قبل الحاكمين؟ لا بد من إرشاده وتبصيره وإراءته معالم الطريق، ومنائر الهداية ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1].

روت فاطمة عن عمتيها فاطمة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما اسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب

(١)سورة الأنفال: ٤٢.

مكلل بالدر و الياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم» وإذا مكتوب على الستر بخ بخ من مثل شيعة علي؟ فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوف، وعليه باب من فضة مكلل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب «محمد رسول الله علي وصي المصطفى» وإذا على الستر مكتوب: «بشر شيعة علي بطيب المولد».[(١)]

وكذلك روت فاطمة بنت السجاد عن عمتيها فاطمة وسكينة ابنتي الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنها قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم، من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟[(٢)]

وقفتان:

الأولى:

في من تروي عنهن فاطمة بنت زين العابدين عليه السلام وهما في هاتين الروايتين وغيرهما ـ بنتا الحسين عليه السلام فاطمة وسكينة، ومع أنه من المعلوم أن فاطمة كانت من الراويات المكثرات وهذا مشهور ولكننا لا نجد في ترجمة السيدة سكينة إلا القليل، بينما

---

(١)بحار الأنوار ٦٥ / ٧٩.
(٢)الغدير ١/ ١٩٧.

نجد عند الآخرين الكثير من الغثاء والزبد الذي يذهب جفاء ولا ينفع الناس إلا بمقدار ما يميز صاحبه في الانتماء ويجعله في صف أعداء أهل البيت. سكينة التي يغلب عليها الاستغراق مع الله سبحانه وتعالى كما يقول أبوها مما ذكره أرباب السير كثيرا، والمشغولة بنشر فضائل ومناقب جدها أمير المؤمنين والملتزمة بنهج أخيها السجاد في التعبد والانقطاع إلى الله تجد بعض المؤرخين المتأثرين بالنهج الزبيري ينسبون إليها ما لا يليق بعامة الدهماء من المسلمات فضلا عن المؤمنات أو نساء النبوة!!

الثانية:

أن التركيز على مثل هذه الروايات في نقلها، هو لما لها من مضمون مهم وأساسي في بناء العقيدة الدينية.. وذلك أن الإنسان يتحدد مسيره بانتمائه، ومصيره بإمامه ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾. وتركيز النبي صلى الله عليه وآله على تعريف أمير المؤمنين للناس إنما هو بلحاظ هذه المسألة.

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ما هي منزلة هارون من موسى؟ اقرأ القرآن وتأمل في طلب موسى ضارعا من ربه ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي- هارون أخي - اشدد به أزري - وأشركه في أمري - كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا﴾ هناك وبعدما ﴿أجيبت دعوتك يا موسى﴾ تغير الخطاب الإلهي من الخطاب للفرد إلى الخطاب بلسان المثنى بمقتضى المشاركة ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى - فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾. وحين يريد الخروج لميقات ربه لا يترك قومه بلا دليل أو قائد وإنما يقول لأخيه ﴿اخلفني في

قومي﴾.

«كما أن هذا القول يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى لأمير المؤمنين من النبي عليه السلام إلا ما خصه الاستثناء المنطوق به في الخبر من النبوة، وما جرى مجرى الاستثناء وهو العرف من أخوة النسب، وقد علمنا أن من منازل هارون من موسى عليهما السلام هي: الشركة في النبوة، وأخوة النسب، والتقدم عنده في الفضل والمحبة والاختصاص على جميع قومه، والخلافة له في حال غيبته على أمته، وأنه لو بقي بعده لخلفه فيهم. وإذا خرج الاستثناء بمنزلة النبوة، وخص العرف منزلة الأخوة ـ لان كل من عرفهما علم أنهما لم يكونا ابني أب واحد ـ وجب القطع على ثبوت ما عدا هاتين المنزلتين من المنازل الأخر.

ومن تلك المنازل أنه لو بقي لخلفه ودبر أمر أمته، وقام فيهم مقامه، وعلمنا بقاء أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجبت له الإمامة بعده بلا شبهة، وإنما قلنا إن هارون لو بقي بعد موسى عليه السلام لخلفه في أمته، لأنه قد ثبتت خلافته له في حال حياته، وقد نطق به القران في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ وإذا ثبتت له الخلافة في حال الحياة وجب حصولها له بعد الوفاة لو بقي إليها...

وقد ثبت كون هارون عليه السلام خليفة لموسى عليه السلام، على أمته في حياته ومفترض الطاعة عليهم، وإن هذه المنزلة من جملة منازله منه، ووجدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلم استثنى ما لم يرده من المنازل بعده بقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» فدل هذا الاستثناء على أن ما لم يستثنه حاصل لأمير المؤمنين عليه السلام بعده، وإذا كان من جملة

المنازل الخلافة في الحياة وثبتت بعده فقد تبين صحة النص عليه بالإمامة»[١].

ومثله التأمل في حديث الغدير فإن من تأمل فيه بمقدماته وظروفه المحيطة به، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» في إشارة لقول الله ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.. ثم تعقيبه ذلك بقوله «ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» كما نقله أرباب المجامع الحديثية بطرق مختلفة[٢]..

إن هذه الروايات التي يعتنى بنقلها والتذكير بها، يقصد من ذلك تحديد إشارات المرور المؤدية إلى الجنة بعد العبور على الصراط المستقيم، وإنه لنبأ ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

---

(١)إعلام الورى بأعلام الهدى ١/ ٣٣١.

(٢)للتفصيل يراجع الغدير للعلامة الأميني الذي جمع (كل الصيد في جوف الفرا) فأوعى.

موجز عن حياة الإمام محمد بن علي عليه السلام

الباقر أبو جعفر ٥٧ـ ١١٤ هـ

ولد الإمام الباقر سنة ٥٧ هـ، وتوفي سنة ١١٤ هـ، وعمره ٥٧ سنة منها ٤ سنوات في حياة جده الإمام الحسين عليه السلام، وبعدها ٣٥ سنة في حياة أبيه السجاد، ومدة إمامته ١٨ سنة.

عاصره من حكام بني أمية، عبد الملك بن مروان ـ وهشام بن عبد الملك.

بلغت الفتوحات إلى تلك الفترة أقصى اتساعها، حيث تحول الفتح إلى عمل عسكري مجرّد يهدف الغنيمة الشخصية للقائد أو الخليفة.. وبقدر ما دخلت أراض تحت سيطرة المسلمين، فقد دخلت ثقافات أكثر، حملتها معها الأقوام التي فتحت أراضيها، وشكل ذلك تهديدا خطيرا، لعقيدة المسلمين، ولعدم قدرة الحاكمين من الخلفاء وأتباعهم على مواجهة هذا التحدي.

بل يمكن القول إن السلطة الأموية كان لها يد في تشجيع الحركات الفكرية المنحرفة الدامية إلى شل حركة المسلمين كالقول بالجبر، أو تلك الهادفة إلى تغييب المسلمين عن الرقابة على الحاكمين كالقول بالإرجاء.

يضاف إلى ذلك أنه كانت الحاجة قائمة، لتفصيل أحكام

الدين، وبيان مواقفه، وتشريح أدلته، وتفسير كتابه فكان الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، الذي تحدث عنه جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قبل ولادته- بأنه يبقر العلم بقراً، هو الوارث لعلم جده، والحافظ لشريعته في مواجهة تلك الأسئلة الحائرة والتحدي الثقافي، كما كان على يده بيان الموقف الصحيح تجاه الحركات الفكرية المختلفة، وعنه انتشر العلم النبوي في العقائد، والتفسير، و الأحكام.

أشار على الحكم الأموي بطريقة، تخلص البلاد الإسلامية من الارتهان للروم، إذ كانوا ينقشون على نقودهم عقيدتهم في التثليث، وهذه النقود كانت هي المتداولة عند المسلمين ولما أراد عبد الملك بن مروان تغيير ذلك، ضغط عليه ملك الروم بأنه سوف يأمر بنقش سب النبي، على النقود إن لم ينته عبد الملك عما أراد، فضاق بعبد الملك الأمر. فأشير عليه بأن يبعث إلى الإمام الباقر سائلا، وبالفعل فقد وضع الإمام الباقر خطة لضرب وصناعة النقد في بلاد المسلمين تنتهي إلى الاستغناء عن نقد الروم..

أثر عنه من الأحاديث في مختلف فنون المعرفة والعلم أكثر مما أثر عن غيره، وكان ومن بعده ابنه الإمام الصادق عليه السلام فاتحة لنهضة فكرية عظيمة لا تزال أثارها مشهودة حتى اليوم، وتلمس في غنى النصوص الإسلامية، ووفائها بحاجة المسلمين العقيدية، وقام بتربية العشرات من العلماء والفقهاء.

انتقل إلى جوار ربه في المدينة المنورة سنة ١١٤ هـ مسموما على المشهور.

زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

أبو الحسين الشهيد

العمر: ٤٣ سنة

٧٨ ـ ١٢١ هـ شهيداً

«رحم الله عمي زيدا.. انه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، وقد استشارني في أمر خروجه..»

الإمام الصادق عليه السلام

صلى الفجر، وجلس للأذكار والتعقيبات على عادته في كل يوم، حتى تطلع الشمس..

وبعد قراءة تلك الأذكار والأدعية، جاءه البشير بأن مولودا قد ولد له للتوّ..

ـ الحمد لله رب العالمين، وهل أفضل من الولد في زمن جرّد فيه الأمويون سيف عداوتهم، وليستأصلوا نسل أمير المؤمنين عليه السلام ؟! لا يزال يرن في أذنيه ذلك الفحيح الذي أطلقه جيش عمر بن سعد وهو يزحف على خيام الحسين: لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية.. أرادوا! وأراد الله، ولا رادّ لإرادته!!.

أرادوا استئصال هذه الذرية. فوضع الله عليها يد بركته فإذا

بها تملأ الأرض رجالا ثائرين، وأئمة هادين، وعلماء صالحين...

بعد أن علت الشمس وقدم الأصحاب يهنئون زين العابدين علي بن الحسين بمولوده الجديد، التفت إليهم:

ـ أي شيء ترون أن أسمي هذا المولود؟!.

أترى أن الإمام عليه السلام كان متحيرا في تسمية المولود؟! أم كان يريد أن يكشف للحاضرين عن المستقبل الذي سيصنعه هذا الوليد؟!.

في جوابهم كان الاختلاف، فبعضهم اقترح أحد أسماء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان أخوه الباقر قد سمي محمدا فليكن اسم هذا أحمد مثلا، والآخر فضل اسم جده الحسين، وهكذا قال كل كلمته.. قطع الإمام حبل نزاعهم مناديا:

ـ يا غلام علي بالمصحف!.

وتوجه إلى القبلة متفائلا بالقران، وفتحه فإذا بالآية في رأس الصفحة: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ أطبقه وفتحه أخرى فإذا في رأس الصفحة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بان السرور على وجه الإمام وقال لأصحابه: هو والله زيد، هو والله زيد.

هكذا فتح زيد عينيه على الحياة، وقد خط الله سبحانه

وتعالى قدر حياته الجهادية ورضيه لزيد.. وعاش زيد في ظل أبيه السجاد مدة (١٧) عاما، ملاحظاً نبع الحزن الذي لا يجف في قلب أبيه، ومتأثرا بالعين الدامعة أبدا، فلونت تلك الملاحظة لوحة حياته.

لقد عاش زيد مأساة كربلاء في البكاء اليومي المستمر لوالده، وفي تداعي المعاني الدائم الذي كان يتم، فإذا ذهب والده إلى السوق. فإن منظر القصاب الذي يسقي الكبش قبل ذبحه. يتحول إلى مغناطيس يستجلب كل مناظر الشفاه الذابلة ظمأً في كربلاء. إلى ذهن أبيه، لماذا اشتعلت النار في موقع فلا يرى فيه إلا ألسنة اللهب التي تضطرم بأخبية نساء أبيه في يوم الطف.. وهكذا كانت كربلاء الحاضرة معه أبدا، وفي كل موقف.

ولم يكن هذا هو العامل الوحيد الذي يصبغ حياة أبيه بلون الحزن والدمعة الساخنة.. لقد كان يبكي أكثر عن خشية الله، ولم يصنع ما يستوجب البكاء، ولكنها قلوب أحباب الله تشتعل شوقا إلى لقائه، وتحترق ألما إن لا يعينها الجسد على الانطلاق..

وأخذ الولد من صفات والده تلك ما استطاع، وكان ذلك المقدار كافيا لتأهيله بين الناس إلى درجة الإعجاب الشديد.

وبعد رحيل والده قام بتربيته أخوه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وكان يتوسم فيه كل خير، فقد دخل عليه ذات مرة فلما رآه قال الإمام الباقر عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ ثم قال: أنت والله يا زيد من أهل

ذلك..[1] وكان يقول: اللهم اشدد أزري بزيد.

من أبيه ورث الانقطاع إلى العبادة حتى كان يصلي في نهاره ما شاء الله فإذا جن عليه الليل نام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله ثم يقوم قائما على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع سجد سجدة ثم يصلي الفجر ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار ثم يذهب لقضاء حوائجه.. وكان يصوم في كل سنة ثلاثة أشهر وفي كل شهر ثلاثة أيام..

وورد منهل أخيه الباقر لعلوم الأولين والآخرين، فعلّ منه ونهل ما استطاع، حتى اشتمل على علم كثير جعله المبرّز بين الهاشميين بعد الصادق عليه السلام.

على الطرف الآخر كان الحكم بيد بني أمية وقد عملوا بوصية أبي سفيان «تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الصبيان بالكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار» وحازوا بذلك التصديق الكامل لنبوءة النبي صلى الله عليه وآله ورؤياه الصادقة للقردة تنزو على منبره، فكانوا (الشجرة الملعونة) من دون منازع أو شريك.والدور يصل إلى هشام بن عبد الملك الذي جمع في شخصيته خبث الباطن وقبح الظاهر، فكان (استاندارد) الحاكم الأموي المطلوب ذلك أنه «كان أحول خشنا فظا غليظا.. ولم ير زمان أصعب من زمانه»[2]. واشتدت وطأته على العلويين،

(١)الغدير ٣/ ٧٠.
(٢)مروج الذهب ٣/ ٢١٧.

الذين كانوا في نظر الناس أحق بمقام الخلافة من هشام ونظرائه.. أنه لا ينسى موقفه مع علي بن الحسين عليه السلام في الطواف ببيت الله الحرام. لقد كان يحاول الوصول إلى الحجر الأسود، ولكن موجات الطائفين جعلته كرة، هذه الموجة تقذفه وتلك تلقفه، وكاد يختنق بضغط تلك الجموع فاضطر إلى الابتعاد، مراقبا من بعيد جموع الحجيج المزدحمة. وانشقت الصفوف كما لو ضربتها عصا موسى عليه السلام.

وانفرج الناس.. وتقدم رجل كسته الهيبة جلباب العزة، وألبسته التقوى رداء الطمأنينة، تقدم بخطوات واثقة، بينما انفرج الناس حتى استلم الحجر، بل الحجر استلم يده.. وفاض كأس هشام بالغضب من هذا الذي ينافسه على الناس؟ من (ملك القلوب) هذا؟ ولم يطل به المقام، ذلك أن الفرزدق الشاعر أجاب عن أسئلته برائعته الميمية:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك من هذا بضائره

العرب تعـرف مـن أنكـرت والعجـم

هذه الصور ازدحمت في ذهن هشام بـن عبـد الملـك عنـدما أخبر أن زيدا بن علي بن الحسين ينتظـر الإذن للـدخول عليـه، وقبل أن يؤذن لزيد أمـر هـشام الجالـسين أن لا يفـسحوا لزيـد عندما يدخل. ودخل حليف القرآن تسبقه أسارير النور المنبعثـة من وجهه، لم يفسح له أحد مكانا في المجلـس، فوجـه كلامـه إلى هشام:

ـ اتق الله يا أمير المؤمنين!! فغضب هشام وأجابه:

ـ أنت توصيني بتقوى الله؟!.

ـ إنه ليس أحد من عباد الله بفوق أن يوصى بتقـوى الله ولا من عباده دون أن يوصي بتقوى الله.

كان السهم صـائبا فلـم يـستطع هـشام رده لـذلك أعطـى للموضوع جهة أخرى وقال له:

ـ أنت المؤهل نفسك للخلافة الراجي لها؟! وما أنـت وذاك لا أم لك، وإنما أنت ابن أمة!.

كان في هـذا الكـلام موضـوعا التهمـة الـسياسية بالإعـداد للثورة والتغيير لانتقاص شخصية زيـد.. ولم ينكـر زيـد التهمـة الأولى لأنه يراها إحدى وسائل الإصلاح في أمة رسـول الله وهـو القائل بأنه يودّ لو يقع من الثريا إلى الأرض فيتقطع قطعا إذا كان ذلك في إصلاح الأمة.. إلا أنه في الثانية لما وجـدها مخالفـة للقـيم الدينية قال:

ـ إني لا أعلم أحدا أعظم عند الله منزلة من نبيه وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث وهو اسماعيل بن إبراهيم فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله وهو ابن علي بن أبي طالب أن يكون ابن أمة؟![1].

كان يوسف بن عمر الثقفي الوالي الجديد على العراق قد كتب لهشام أن خالدا القسري (والي العراق السابق) قد ادعى بمال على زيد، فوجدها هشام فرصته وأرسل زيدا إلى الكوفة ليجمع يوسف بن عمر بينه وبين خالد المدعي عليه، فيصيب بذلك عصفورين بحجر واحد فهو من جهة يبعد زيدا عن مركز الحكم وقد أشار لأحد أعوانه إلى خطورة بقاء زيد في الشام قائلا «لا يبيتن هذا في عسكري» ومن جهة أخرى فما من طريق أفضل لتشويه سمعته من التهمة المالية وفي منطقة الكوفة حيث جموع الشيعة.

وبالفعل أخرج زيد من دمشق وهو يقول: ما كره قوم قط حرّ السيف إلا ذلوا. ودخل الكوفة وفيها انقلب السحر على الساحر إذ ظهرت براءة زيد من التهمة الملفقة ضده..

وكانت هذه إضافة إلى سواها من ظلم الأمويين وأهمها كما قال زيد:

أنه شهد هشاما ورسول الله يسب عنده فلم ينكر ذلك ولم

---

(١) تنقيح المقال ١/٤٦٧.

يغيره ووالله لو لم يكن إلا هو رجل آخر لخرج عليه..

كان يعتمل في نفسه الغضب للدين، والحمية لأحكامه، ويسعى لأن تقاد الأمة إلى سعادتها بيد قادتها الصالحين المرضيين من آل محمد.. وكان مستعدا في ذلك لأن يخوض عباب الموت حتى يصل إلى الهدف..

لا يهمه أن يكون المصلوب بالكناسة كما أخبره أخوه الباقر مرارا، وكذلك ابن أخيه الصادق، فماذا يضره إذا كان في ذلك على بصيرة من أمره، ويقين من ربه؟! وسواء تحقق ذلك الهدف ووصل «الرضا من آل محمد» إلى مقام القيادة الفعلية لأمور البلاد أم لم يصل، فإن دوره يبقى في حدود الشمعة المضيئة للآخرين درب الكرامة والعزة.

ضمن هذه الظروف، جاء زيدا العديد من أهل الكوفة داعين إياه للثورة، خصوصا أن الوالي على الكوفة لا يحظى بتأييد سكانها ولا يملك من الجنود إلا القليل!!.

وهكذا تتابع المؤيدون حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألفا.

وكانت مخابرات الوالي ترصد حركة غير عادية في الكوفة، وكان الطلب يشتد أثر زيد، حتى كانت ليلة جردت السلطة فيها حملة على بيت رجل من شيعة زيد كان يتوقع وجوده عنده فلم يوجد، وأخذ الرجل وصاحب له فضربت أعناقهما.

بهذه العملية خرجت المواجهة إلى العلن، واقتربت ساعة الاصطدام وبالرغم من أن زيدا كان قد كاتب أصحابه على أن يكون موعد الثورة الشاملة أول شهر صفر من سنة (١٢١ هـ)،

إلا أن تصاعد وتيرة الأوضاع في الكوفة جعل مـن غـير الممكـن بالنسبة لزيد الانتظار إلى ذلك الموعد فتحرك معلنا الثورة بشعار «يا منصور أمت» في ليلة الأربعاء الثالثة والعشرين من محـرم أي قبل الموعد بأسبوع.

كان الوالي قد أعلن الأحكام العرفية قبل ذلك، ودعا النـاس للحضور إلى المسجد يوم الثلاثاء، ونادى مناديه: إن برئت الذمـة ممن وجد من العرب والموالي في غـير المـسجد، وهكـذا حـبس الناس في المسجد، وفوجئت الثورة بهذا الإجراء، فلـم يجـد زيـد بدا من الخروج لكيلا يصفى هو وأنصاره.

«وأصبح زيد بن علي وجميع من وافـاه تلـك الليلـة مائتـان وثمانية عشر من الرجالة، فقال زيد: سـبحان الله فـأين النـاس؟! قيل: هم محصورون في المسجد، فقال: لا والله ما هذا لمـن بايعنـا بعذر».[1]

كثير من الذين بايعوا أرادوا أن يخدعوا الله!! فإذا كان النصر لزيد فقد ضمنوا مستقبلهم لأن أسماءهم مسجلة في ديوان الثوار وإن كان النصر للأمويين فهم في المـسجدـ ومعهـم حجتـهم!ـ ولم يصبهم مكروه وهؤلاء في الثورات ليسوا عديمي النفـع فقـط بل كثيرو الضرر.. فالفرقـ كما ترىـ واضح بـين خمـسة عـشر ألفا وبين مائتين!!. وأقبل زيد حتى انتـهى إلى جبانـة الـصيادين وبها خمسمائة من أهـل الـشام فحمـل علـيهم زيـد في أصـحابه فهزمهم ثم انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الـشام

(١)مقاتل الطالبيين/ ٩٣.

فهزمهم ثم شلهم حتى ظهر إلى المقبرة ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكرون ولو شاء زيد أن يقتل يوسف يومئذ قتله.

وأقبل زيد بن علي فقال: يا نصر بن خزيمة أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟! فقال نصر: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت.

المعركة كانت على أشدها بينما أهل الكوفة موجودون في المسجد الذي لا يحرسه غير مجموعة قليلة، ولو حمل من في المسجد عليهم لأزالوهم، ولكن بمقدار ما كانت المعركة حامية في الخارج كانت العزائم واهية خائرة في داخل المسجد..

وحمل زيد بمن معه قاصدا المسجد وقد وقف دونه عبيد الله بن العباس الكندي في أهل الشام فهزمهم زيد وانتهى بأصحابه إلى المسجد وأدخل راياته من فوق الأبواب، وأصحابه ينادون:

ـ يا أهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز وإلى الدين والدنيا.

إلا أن الموجودين فيه لم يخرجوا، إذ لم يكن المانع هو حصرهم في المسجد إنما كان سجن أنفسهم في زنزانات الخوف وحب الدنيا.

كان النهار قد تصرم والمعركة تنتقل من ميدان إلى آخر وأنصار الوالي على كثرتهم ـ لا يثبتون أمام ثوار زيد ـ على قلتهم ـ..

قال سعيد بن خيثم: وكنا مع زيد في خمسمائة وأهـل الـشام اثنا عشر ألفا، إذ وصل رجل من أهـل الـشام مـن كلـب علـى فرس رائع فلم يزل شتما لفاطمة بنـت رسـول الله فجعـل زيـد يبكي حتى ابتلت لحيته وجعل يقول: أما أحد يغـضب لفاطمـة بنت رسول الله؟! أما أحد يغـضب لرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أمـا أحـد يغضب لله؟!.

قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلـة، وكـان النـاس فرقتين نظارة ومقاتلة، فجئت إلى مولى فأخـذت منـه مـشملا[1] كان معه ثم استترت من خلف النظارة حتى إذا صرت من ورائـه ضربت عنقه وأنا متمكن منه بالمـشمل فوقـع رأسـه بـين يـدي بغلته ثم رميت جيفته عن السرج وشد أصحابه علي حتى كادوا يرهقونني، وكبر أصحاب زيد وحملوا عليهم واسـتنقذوني منـهم فركبت وأتيت زيدا فجعل يقبل بين عيني ويقـول: أدركـت والله ثأرنا، أدركت شرف الدنيا والآخرة وذخرها[2].

ولما لم يستطع جيش الوالي أن يـصمد لحـرب أنـصار زيـد، استعانوا بالرماة فجعلوا يرمـون أصـحاب زيـد وأكثـروا فـيهم القتل، وكان الظلام قد خيم..

وفي هذه الأثناء، وبينما السهام تنطلق خارقـة عتمـة الليـل، صوب زيد وأصحابه، وإذا بواحد منها يقع في جبهة زيد ويثبت فيه. لم يعلم غير المقربين بالأمر، وكان الجميع قد بدؤوا يتسللون

(١)سيف قصير يشتمل عليه بالثوب.
(٢)مقاتل الطالبيين/ ٩٣.

من مواقعهم استعدادا لصباح اليوم التالي حيث تدور المعركة الفاصلة.

وتسلل جماعة من أصحاب زيد إلى منزل طبيب وجاءوا به إلى زيد، والسهم لا يزال نابتا في جبينه، فقال له الطبيب:

ـ إن نزعته من رأسك تمت.

ـ الموت أيسر علي مما أنا فيه. أجاب زيد.

وما إن أشرقت شمس الصباح حتى كانت شمس هاشمية قد غربت، ووُري جسد زيد في مكان خفي. إلا أن مولى سنديا كان قد عرف مكان دفنه فذهب إلى الوالي الأموي وأخبره، وهكذا نبش قبره وأخرج ليصلب في كناسة الكوفة معلما شاهدا على الظلم الأموي.

وفي المدينة يدخل الفضيل بن يسار على الإمام الصادق قادما من الكوفة بعد أن شارك في ثورة زيد. فقلت في نفسي والله لا أخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلما دخلت عليه قال: ما فعل عمي زيد؟! فخنقتني العبرة، فقال: قتلوه؟!.

قلت: أي والله قتلوه.

قال: فصلبوه؟!.

قلت: أي والله صلبوه.

فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان ثم قال:

يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام؟!.

قلت: نعم.

قال: فكم قتلت منهم؟.

قلت: ستة.

قال: فلعلك شاك في دمائهم!.

فقلت: لو كنت شاكا في دمائهم ما قتلتهم!! فسمعته يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء مثلما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه[1].

---

(١) تنقيح المقال ١/ ٤٦٨.

محمد بن مسلم بن رياح الثقفي

أبو جعفر

توفي سنة١٥٠هـ

«زرارة وبريد ومحمد بن مسلم والأحول أحب الناس إلي أحياء وأمواتا»

الإمام الصادق عليه السلام

إذا كان رسول الله قد أبغض عددا من القبائل من بينها ثقيف، لما سيرتكبه أبناء هذه القبائل ـ في الجملة ـ من جرائم وموبقات، فلا يعني ذلك أن كل من ينتمي لهذه القبائل سيكون مبغوضا للرسول حتى لو عمل صالحا.. كلا فالمرء مجزي بعمله، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

إن ذلك البغض والكراهية ناظر إلى أمثال الحجاج الثقفي ويوسف بن عمر وأمثالهم الذين حلفوا يمينا على محو الدين واضطهاد المسلمين..

إلا أننا سنجد من بين هذه القبائل من يكون مصداقا (يميز الخبيث من الطيب) وذلك لضرب فكرة الحتمية، والجبر التي يتعلل به بعض الناس لتبرير سوء عملهم، سواء حتمية الوراثة

أو التربية أو الظروف المحيطة. محمد بن مسلم أيضا ثقفي طائفي، لكنه بحسن اختياره وكثرة سعيه أصبح من حواريي الإمام ين الباقر وابنه الصادق، وحتى قيل عنه أنه «ما كان أحد من الشيعة أفقه من محمد بن مسلم».

في ظل هذا الوضع كان قلب الصراع هو المعرفة، بأحكام الدين وبأحاديث الرسول، وكان محمد بن مسلم لعلاقته الخاصة بالإمام الباقر ثم الصادق (موسوعة أحاديث) فقد حفظ عنهما آلاف الأحاديث ونظرة سريعة إلى أسانيد الموسوعات الحديثية الموروثة عن أهل البيت تؤكد لنا هذا المعنى..

فقد اختصه الإمام الباقر بالتربية أولا وبالتعليم ثانيا، ولنستمع إلى ما يرويه:

خرجت إلى المدينة وأنا وجع ثقيل، فقيل له (للإمام): محمد بن مسلم وجع، فأرسل إلي أبو جعفر بشراب ـ مع غلام ـ مغطى بمنديل، فناولنيه الغلام، وقال لي: اشربه فإنه قد أمرني أن لا أرجع حتى تشربه، فتناولت فإذا رائحة المسك منه، وإذا شراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك إذا شربت فتعال ففكرت فيما قال لي، ولا أقدر على النهوض، قبل ذلك على رجلي، فلما استقر الشراب في جوفي كأنما أنشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوت بي: نصح الجسم، ادخل.

فدخلت وأنا باك.. فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه، فقال لي: وما يبكيك يا محمد؟ فقلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقة وقلة المقدرة على المقام عندك والنظر إليك،

فقال لي: أما قلة المقدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنـا، وجعل البلاء إليهم سريعا، وأما ما ذكرت من الغربة فلـك بـأبي عبد الله (الحسين) أسوة، بأرض ناء عنا بالفرات صلى الله عليـه، وأما ما ذكرت من بعد الشقة فإن المـؤمن في هـذه الـدنيا غريـب وفي هذا الخلق منكوس حتى يخرج من هذه الـدار إلى رحمـة الله، وأما ما ذكرت من حبك قربنا والنظر إلينا وأنـك لا تقـدر علـى ذلك فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه[1].

كان الله قد انعم على محمد بن مسلم، فأصبح موسرا غنيـا، بل وسيدا شريفا في قومه، فإن هذه النعم قد تتحـول إلى نقـم إن لم ينتبه صاحبها لآثارها، فينسى نفـسه، ويطغـى متجـبرا، كمـا يحدث لكثير من أولي النعمة، فقد لاحظ الإمام الباقر هذا الأمر، ولكيلا يقع هذا العالم في خطـأ غـيره، حـذره الإمـام في إحـدى زياراته إلى المدينة، ولقائه بالإمام قائلا له:

ـ تواضع يا محمد..

وقرأ الثقفي كامل الرسالة من الحرف الأول، فما إن عـاد إلى موطنه في الكوفة حتى أخذ سلة تمر مـع الميـزان، وجلـس علـى باب المسجد الجامع ينادي عليه.. لقد كان يريـد أن يقـضي بهـذا العمل على أي بذرة من بـذور الخـيلاء والشخـصية الكاذبـة في نفسه، وأن يكسر هيكل الاعتبار المزيف.

لما رأى الثقفيون الموجودون في الكوفة زعـيمهم علـى هـذه

---

(١)الاختصاص/ ٥١.

الحالة، جاءوا إليه مسرعين يقولون: فضحتنا بين الناس!!.

فقال: إن مولاي أمرني بأمر ولن أخالفه، ولن أبرح حتى أبيع ما في هذه القوصرة!.

فقال له قومه: أما إذا أبيت إلا أن تشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحانين، فهيأ رحى وحجرا وجعل يطحن[1].

كان هدفه هو أن (يتواضع) أكثر مما عليه، ولذلك كان يرى أن القيام بأي عمل من الأعمال التي (لا تتناسب) وموقعه الاجتماعي يحقق له هذا الهدف..

هذه التربية وذلك التعليم أهله لأن يصبح في الكوفة، وبين أصحاب الأئمة الشخص الأول الذي يرجع إليه فيما عسر على فهمهم وفيما أغلق عليهم، (وميزانا) لأقوالهم، فقد قال هشام بن سالم: ما اختلفت أنا وزرارة قط، فأتينا محمد بن مسلم فسألناه عن ذلك إلا قال لنا: قال أبو جعفر فيها كذا وكذا وقال أبو عبد الله فيها كذا وكذا..

هذا مع العلم أن هشاما وزرارة كانا من كبار أصحاب الإمام ين، ومن علماء الشيعة.

بل إن عبد الله ابن أبي يعفور الذي يقول عنه الإمام الصادق أنه كان موفيا لله عز وجل ولرسوله ولإمام ه بالعهد المعهود لله وأنه كان محمود الأثر مشكور السعي مغفورا له مرحوما برضا الله ورسوله وإمامه عنه، ثم يقسم الإمام قائلا: فبولادتي من رسول

(١)المصدر السابق.

الله ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمام ه منه...[١]

عبد الله بن يعفور هذا، يتتلمذ على يد محمد بن مسلم ويرجعه الإمام الصادق إليه في حال أشكلت عليه مسائل، ولم يجد طريقا للإمام.. فقد روى ابن أبي يعفور: قلت لأبي عبد الله: إني ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكنني القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا، فيسألني وليس عندي كلما يسألني عنه؟!.

فقال: فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه قد سمع مع أبي وكان عنده مرضيا وجيها[٢].

وكان محمد بن مسلم ثقة مأموناً في الحديث، ولكن جرت العادة لدى الحاكمين أن يبعدوا من كان على خط أهل البيت من الفقهاء والعلماء، وأن يلصقوا بهم التهم حتى تشوه سمعتهم بين الناس، ويسقط اعتبارهم- فهذا شريك بن عبد الله (القاضي) مع علمه بأن محمدا مأمون على الحديث، إلا أنه لا يجيز شهادته في قضية عادية..

فقد رأى محمد بن حكيم وأحد أصحابه شريكا القاضي واقفا في بستان فقال محمد لصاحبه: هل لك في خلوة من شريك؟!.

فأتيناه وسلمنا عليه، فرد علينا السلام، فقلنا: يا أبا عبد الله مسألة.

---

(١) تنقيح المقال ٢/ ١٦٥.
(٢) الاختصاص/ ٢٠٢.

فقال: في أي شيء؟! قلنا في الصلاة. قال: سلوا عما بدا لكم.

فقلنا: لا نريد أن تقول قال فلان وقال فلان، إنما نريد أن تسنده إلى النبي.

قال: أليس في الصلاة؟!.

قلنا: بلى.. قال: سلوا عما بدا لكم.

فقلنا: في كم يجب التقصير؟! قال: كان ابن مسعود يقول: لا يغرنكم سوادنا هذا، وكان يقول فلان..

فقلنا: إنا قد استثنيا عليك أن لا تحدثنا إلا عن النبي.

قال: والله إنه لقبيح بشيخ أن يسأل عن مسألة في الصلاة عن النبي لا يكون عنده فيها شيء وأقبح من ذلك أن أكذب على رسول الله.

قلنا: فمسألة أخرى.. فقال: أليس في الصلاة: قلنا: بلى. فقال: سلوا.

قلنا: على من تجب الجمعة؟!.

قال: عادت المسألة جذعة ما عندي في هذا عن رسول الله شيء!.

فأردنا الانصراف. فقال: إنكم لم تسألوا عن هذا إلا وعندكم من علم.

قلنا: نعم: أخبرنا محمد بن مسلم الثقفي عن محمد بن علي

عن أبيه عن جده عن النبي.

فقال: الثقفي الطويل اللحية؟! قلنا نعم، فقال: أما إنـه كـان مأمونا على الحديث ولكن كانوا يقولون أنه خشبي!! ثم أضـاف: ماذا رووا؟!. قلنا: رووا عن النبي، أن التقـصير يجـب في بريـدين فإذا اجتمع خمسة أحدهم الإمام منهم أن يجمعوا[١].

الغريب أن شريكا هذا يتردد في قبول شهادة محمد بن مسلم مع أنه أعلم منه وأنه (مأمون علـى الحـديث) حـسب اعترافـه.. فقد شهد محمد بن مسلم وأبو كريبة الأزدي بشهادة عن شـريك وهـو قـاض في الكوفـة[٢]. فنظـر في وجهيهمـا عليـا ثم قـال: جعفريان فاطميان، فبكيا، فقال لهما: مـا يبكيكمـا؟! فقـالا لـه: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم لما يـرون من سخيف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن نكـون من شيعته فإن تفضل وقبلنا فله المن علينا والفضل قديما.

فتبسم شريك وقال: إذا كانت الرجال فلـتكن أمثـالكم، يـا وليد أجزهما هذه المرة ولا يعودا ثانية.

وكما كان علماء السلطة يبعدون علماء أهل البيت بالتهمة، إذ أن عدم قبول الشهادة يعني طعنا في العدالـة، فقـد كـان أهـل البيت يبينون للناس فضل أصحابهم فقد روى أبو كهمس قـال: دخلت على أبي عبد الله فقال لي: شهد محمد بن مـسلم الثقفـي القصير عند ابن أبي ليلى بشهادة فرد شهادته؟!.

---

(١)/ المصدر السابق/ ٥٢.

(٢)الإمامة والسياسة ٢/ ٣٨٩.

قلت: نعم.

فقال: إذا صرت إلى الكوفة فأتيت ابن أبي ليلى فقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس ولا تقول: قال أصحابنا ثم سله عن الرجل يشك في الركعتين الأوليين من الفريضة، وعن الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله! وعن الرجل يرمي الجمار بسبع حصيات فيسقط منه واحدة.. كيف يصنع؟! فإذا لم يكن عنده فيها شيء فقل له: يقول لك جعفر بن محمد ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف بأحكام الله منك وأعلم بسيرة رسول الله منك؟

فلما قدمت أتيت ابن أبي ليلى قبل أن أسير إلى منزلي فقلت له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتيني فيها بالقياس ولا تقول قال أصحابنا.

قال: هات.. قلت: ما تقول في رجل شك في الركعتين الأوليين من الفريضة فأطرق ثم رفع رأسه إلي فقال: قال أصحابنا. فقلت: هذا شرطي عليك ألا تقول قال أصحابنا. فقال: ما عندي فيها شيء.

فقلت ما تقول في الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله؟ فأطرق ثم رفع رأسه فقال: قال أصحابنا.. فقلت هذا شرطي عليك. فقال: ما عندي فيها شيء. فقلت: رجل رمى الجمار بسبع حصيات فسقطت منه حصاة كيف يصنع؟! فطأطأ رأسه ثم قال: قال أصحابنا..

قلت أصلحك إن هذا شرطي عليك. فقال: ليس عندي فيها شيء. فقلت: يقول لك جعفر بن محمد ما حملك على أن

رددت شهادة رجل أعرف منك بأحكام الله وأعرف منك بسيرة رسول الله؟!.

قال: ومن هو؟.

قلت: محمد بن مسلم الطائفي القصير.

فقال: والله إن جعفر بن محمد قال لك هذا؟! قلت: والله إنه قال لي جعفر بن محمد هذا..[1]

فأرسل إلى محمد بن مسلم فدعاه فشهد عنده بتلك الشهادة فأجاز شهادته. لقد بقي في المدينة أربع سنوات متصلة تتلمذ فيها على يد الإمام الباقر فلما قبض استمر يدخل كل يوم على الإمام الصادق متعلما ومستزيدا هذا إضافة إلى سفراته فيما بعد ذلك من السنوات، للحج و ا لعمرة.

وشهد في هذه الأثناء صراع الأصالة والالتقاط بين منهج الأئمة ومنهج مخالفيهم إذ كان الأئمة يرون أن الدين لا يتبع الاستحسانات والأقيسة، بل هو أحكام الله المبينة التي جاءت في القران الكريم الذي حوى كل شيء إذ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وجاءت أحاديث الرسول وأفعاله لتبين وتوضح المجمل من الأحكام، وقد بلغ رسول الله ذلك خير بلاغ فقد (أنال وأنال وأنال) لكن عند أهل البيت كانت (قواعد العلم).

وكان الصراع يدور بين تحكيم أقوال رسول الله من قبل الأئمة، وبين تحكيم الآراء البشرية عند منافسيهم حيث لم يكونوا يستطيعون مجاراة أهل البيت في المعرفة بحديث الرسول..

---

(١)بحار الأنوار ٤٧/ ٤٠٣.

فقد شهد محمد بن مسلم إحدى حلقات هذا الصراع، ذلك أن أبا حنيفة النعمان دخل على الإمام الصادق، فقال له الإمام: يا أبا حنيفة القتل عندكم أشد أم الزنا؟!.

قال أبو حنيفة: بل القتل.

فقال الإمام: فكيف أمر الله في القتل بشاهدين وفي الزنا بأربعة؟! كيف يدرك هذا بالقياس؟! يا أبا حنيفة ترك الصلاة أشد أم ترك الصيام؟!. قال: بل ترك الصلاة.

قال: فكيف تقضي المرأة صيامها ولا تقضي صلاتها؟ كيف يدرك هذا بالقياس؟.

ويحك يا أبا حنيفة النساء أضعف على المكاسب أم الرجال؟.

قال: بل النساء.

قال: فكيف جعل الله للمرأة سهما وللرجل سهمين؟ كيف يدرك هذا بالقياس؟.

يا أبا حنيفة: الغائط أقذر أم المني؟!. قال: بل الغائط.

قال: فكيف يستنجى من الغائط ويغتسل من المني؟ كيف يدرك هذا بالقياس.

ويحك يا أبا حنيفة تقول سأنزل مثلما أنزل الله؟.

قال: أعوذ بالله أن أقوله.

قال: بلى تقوله أنت وأصحابك من حيث لا تعلمون[1].

---

(١)الاختصاص/ ١٩٠.

جابر بن يزيد الجعفي

توفي سنة ١٢٨ هـ

«رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا..»

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

«إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها».

يتفاوت الناس في علمهم وفي قدرتهم على تحمل العلم، فبينما تجد البعض لا يستطيع استيعاب حقائق الشهود، تجد آخرين يتعاملون مع معادلات الغيب، لأنهم (يؤمنون بالغيب).

وفيما يصعب على أناس معرفة الأسباب في علم الظاهر، تجد آخرين يسبحون في محيطات علم الباطن..

وقد قضت سنة الله في الخلق والكون، أن تتعلق الأمور الهامة بالغيب والباطن غالبا، فبدءا من مسألة الخالق، إلى مسألة الخلق والإنشاء، إلى غيرها من المسائل.

ولذلك أيضا فإن «أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أوملك مقرب أو عبد ممتحن».ولأن الكثير من الناس يعيشون في أدنى درجات الظاهر فلا يصدقون إلا الأمور المحسوسة، لذلك يعيش أهل علم الباطن في أزمة قد تنتهي

أحيانا إلى اتهام هؤلاء العلماء بالجنون واختلاط الحواس وربما إلى الاتهام بالزندقة!!.

وإذا كان علم هؤلاء غريبا على عموم الناس فإن طريقة حياتهم أكثر غرابة، ألم يقل المعصوم «تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل»؟!.

إن هؤلاء في سبيل أهدافهم- لا مانع لديهم من الخروج على المألوف والتمرد على الواقع المعاش، لأنهم يعيشون الهدف، و (يؤمنون بالغيب) أنهم في هذا يشبهون الأنبياء في كونهم أصحاب رسالة هادية للمجتمع وغريبة على المألوف فيه.

لا مانع لديهم من التضحية بأشخاصهم أو اعتبار شخصياتهم إذا تطلبت مصلحة الرسالة ذلك.

وجابر بن يزيد الجعفي رجل من هذا الطراز فقد أوتي علم الباطن حتى قيل إن علم الأئمة انتهى إلى أربعة سلمان (المحمدي) وجابر بن يزيد والسيد ويونس بن عبد الرحمان.. وقد بلغ نهاية الغاية في إنكار الذات حين أنجز الدور المكلف به (التظاهر بالجنون) بأمر من الإمام الباقر، أنجزه بدون تردد..

كيف؟! لنتابع مسيرة جابر منذ البداية حينما يدخل على الإمام الباقر منتميا إلى خطه ومهاجرا من الكوفة مسقط رأسه إلى المدينة ليطلب العلم من الإمام الباقر، ويتوسم فيه الإمام، شخصية استثنائية ذات كفاءات عالية في الاستيعاب والكتمان والتطبيق فيدفع إليه كتابا ويقول له:

ـ إن أنت حدثت بهذا حتى يهلك بنو أمية فعليك لعنتي

ولعنة آبائي؛ وإن أنت كتمت منه شيئا بعد هلاك بني أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي. ثم دفع إليه كتابا آخر وقال له: إن حدثت به بشيء منه أبدا فعليك لعنتي ولعنة آبائي!.

كانت هذه الأحاديث الخاصة، على وجه كبير من الأهمية والسرية، ولذا كانت تشكل ضغطا كبير على جابر، لإفشائها لذلك كان يأتي إلى الإمام الباقر فيقول: جعلت فداك إنك حملتني وقرا عظيما بما حدثتني به من سركم الذي لا أحدث به أحدا فربما جاش في صدري حتى يأخذني شبه الجنون!! فيقول له الإمام الباقر: يا جابر إذا كان ذلك فأخرج إلى الجبانة فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ثم قل حدثني محمد بن علي بكذا وكذا.

ذلك لأن «حديثنا صعب مستصعب أمرد ذكوان وعر أجرد لا يحتمله والله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد ممتحن».

وإذا، كان جابر يحمل هذه العلوم فقد كان ينضح من إنائه شيئا الأمر الذي كان يجعل من يسمع منه لا يتعقلها، فيشنع بها عليه، لذلك أمره الإمام الباقر أن يحدث الناس بقدر ما يعقلون.

وبعد أن أمضى فترة تعلمه على يد الإمام الباقر، كلف بالسفر إلى الكوفة مرة أخرى لهداية الناس وإرشادهم.. ولم يكن يخفى على الحكم الأموي الموقع الهام الذي يحتله جابر بين أصحاب الأئمة، والكفاءات الخاصة التي يتميز بها. وكان يخطط لقتله باعتباره الوكيل الأول للإمام الباقر في الكوفة، وكانت عناية الله تحرسه، وتخطيط الإمام كان يسبق مكر الحكام..

فقد ودع جابر هذه المرة إمامه وسار من المدينة متجها إلى

الكوفة حتى وصل إلى (الأخيرجة) وهي منزل في الطريق، وقبل أن يغادر وصله كتاب من الإمام الباقر:

«ففك الخاتم وأقبل يقرأه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره.. يقول الراوي.. ثم أغلق الكتاب فما رأيته ضاحكا ولا مسرورا.. فلما وافينا الكوفة ليلا بت ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظاما له فوجدته قد خرج علي وفي عنقه كعاب قد علقها، وقد ركب قصبته وهو يقول أجد منصور بن جمهور أميرا غير مأمور، وأبياتا من نحو هذا، فنظر في وجهي ونظرت في وجهه ولم يقل لي شيئا ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع علي وعليه الصبيان والناس وجاء حتى دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جن جابر بن يزيد.

فوالله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه:

أن انظر رجلا يقال له جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث برأسه إلي، فالتفت الوالي إلى جلسائه وقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟!. قالوا: أصلحك الله كان رجلا له علم وفضل وحديث وحج فجُن، وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. فأشرف الوالي عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله[1].

وكتب الوالي إلى هشام بن عبد الملك بالأمر، فانصرف عن

(١)الكافي ١/ ٣٩٦.

قتله، وظل جابر على هذه الحالة من التخفي والتنكر، إلى أن انقضى زمان هشام بن عبد الملك والوليد وانقضى معه الخطر، تغير الدور المطلوب وعاد جابر إلى ما كان عليه من (العقل)!! يقول عبد الحميد ابن أبي العلاء: دخلت المسجد حين قتل الوليد (بن يزيد) فإن الناس مجتمعون، فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه عمامة خز حمراء، وإذا هو يقول: حدثني وصي الأوصياء وارث علم الأنبياء محمد بن علي..»[١].

واستمر يبلغ رسالة الله وأحكام الدين وينفق مما عنده، وكان قد روى عن الباقر سبعين ألف حديث، وألف عددا من الكتب من بينها: تفسير القرآن الكريم ـ وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين، وكتاب مقتل الحسين وكتاب النوادر، ورسالة الإمام أبي جعفر إلى أهل البصرة.

---

(١) تنقيح المقال ١/ ٢٠٢.

سديف بن مهران المكي

شهيدا بيد والي المنصور سنة ١٤٧ هـ

زعمت أمية وهي غير حليمة أن لن يزول ولن يهد بناؤها
وقضى الإله بغير ذاك فذُبحت حتى ترفع في العجاج دماؤها

سديف المكي

انتهت دولة بني أمية!!.

وفي هذا عبرة للمعتبر، وانتهت أيامهم، وظلم رعيتهم، وتجرعوا العلقم الذي كانوا يُطعمونه الاخرين، صباحا ومساء.. وهكذا، »فأول راضٍ سنةً من يسيرها«.

لقد خلف لنا سديف بن إسماعيل المكي، الشاعر العلوي المتدفق وصاحب الإمام الباقر دعاء هو أشبه بوثيقة سياسية لمراقب عاش الوضع السائد أيام بني أمية فقد كان يقول:

اللهم صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة، اللهم استحصد زرع الباطل وبلغ نهيته واجتمع طريده اللهم فأتِح له يدا من الحق

حاصدة تبدد شمله، وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صورته وأتم نوره[١].

انقضت الشهور الألف، التي أحزنت رؤياها قلب الرسول، وجرحت ـ بما اقتُرف فيها ـ أفئدة الصالحين.. وبقيت عبرة، لو كان معتبر، إن الملك قد يبقى مع الكفر ولكنه لا يبقى مع الظلم حتما.

وجلس أبو العباس السفاح، أول الخلفاء العباسيين، في بلاطه، على سريره، بينما جلس بنو هاشم على الكراسي دونه، ودونهم بنو أمية على الوسائد..

ساعة.. إذ دخل الحاجب قائلا:

ـ يا أمير المؤمنين.. بالباب رجل حجازي أسود، راكب على نجيب متلثم، يستأذن ولا يخبر باسمه ويحلف أن لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك. فعرفه السفاح، وقال للحاجب:

ـ هذا مولاي سديف فليدخل.

ما إن وقعت عينا سديف على بني أمية جلوسا على الوسائد في المجلس حتى تداعى إلى ذهنه صور الشهداء من آل البيت، الذين قتلوا صبرا وسما بيد الأمويين، وصور السجون التي احتضنت أولياءهم، ثم ها هم يجلسون على الوسائد آمنين كأن شيئا لم يكن!!.

---

(١)أعيان الشيعة ٧/ ١٩١.

أترى العباسيين قد نسوا شعاراتهم التي أوصلتهم إلى السلطة؟!

«الرضا من آل محمد» و«الدفع عن المظلومين».. ها هم على بساط واحد مع قتلة آل محمد، فاندفع ينشد بحماس:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما والرؤوس القماقم الرؤاس
يا أمير المطهرين من الذم ريا رأس منتهى كل رأس
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد أناس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث أنزلها اللـ ـه بدار الهوان والأتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شأفة الأرجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والإمام الذي بحران أمسى رهن قبر في غربة وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائي قربهم من نمارق وكراسي

وتغير لون أبي العباس، فلقد أشعل سديف الشاعر العلوي فتيل غضبه، ولم يكن الأمر ليخفى على الأمويين الجالسين، فقد قال بعضهم لبعض: قتلنا والله العبد!!.

والتفت السفاح إلى حرسه وأمرهم بقتلهم..

ولم يكتف سديف بذلك، فقد أشعل الأرض تحت أرجل الأمويين،

الذين كانوا قبلئذ قد تداخلوا مع السلطة العباسية في بدايات عهدها.. فقد عبأ الجو الحاكم ضد بني أمية، فها هو ينشد السفاح مرة أخرى:

يا ابن عم النبي أنت ضياء استبنا بك اليقين الجليا

جرد السيف وارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

لا يغرنك ماترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض في القديم فأضحى ثاويا في قلوبهم مطويا

لقد كان يلتزم جانب التبري، تماما كما التولي، فقد كان يحدث قائلا:

ـ حدثني محمد بن علي وما رأيت محمديا قط يعدله، قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: نادى رسول الله في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسلاح، فصعد، المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا.

كان الجميع ينتظر ثبات السلطة لتبدأ في رد المظالم لأصحابها وتحقق العدل، إلا أن كل يوم يمر كان أفضل من تاليه.. حتى لقد ترحم الناس ـ على (النباش الأول)!.

وجاء فرعون بني العباس أبو جعفر المنصور الذي لم يكن ليوقفه حد من عهد أو يمين عن غدر أو قتل.. فقد بدأ بصانع دولتهم أبي مسلم الخراساني وقتله غدرا ثم ثنى بعمه عبد الله بن علي بعد أن أعطاه المواثيق والعهود وهكذا فعل بابن هبيرة.

وكان المنصور الذي يعاني من عقدة نقص أشار إليها بقوله «إن بني مروان لم تبل رممهم وال أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة»!! قد أعطى قبل سقوط الدولة الأموية يمين بيعة، لمحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، وهكذا فهو في نظر الناس كان سوقيا، وفي عنقه بيعة للنفس الزكية، فأراد أن يثبت للناس خلافته بقمع أهل البيت والتنكيل بهم.. وهكذا.. فقد أدخل عليه في المدينة محمد بن عبد الله الملقب بالديباج ـ لجماله ـ فناداه (خليفة المسلمين)!! ـ يا ديوث!! ثم شرع يشتمه بألفاظ نابية في عرضه! وأمر به فجرد وضرب خمسين ومئة سوط فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفتري عليه لا يني، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك اكفف عن وجهي فإن له حرمة برسول الله، فأغرى المنصور الجلاد قائلا: ويحك.. الرأس الرأس!. فضرب نحوا من ثلاثين سوطا وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت ثم أخرج وكأنه زنجي من الضرب.. وكان من أحسن الناس[1].

ثم أنه أخذ بني الحسن مكبلين، وسار بهم من الربذة فمر بهم

---

(١)كما نقل ذلك في الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٢٤.

على بغلة شقراء، فناداه عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر..

وأحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسن وكان يسمى (الديباج الأصفر) لحسنه، فقال له: أنت الديباج الأصفر!! قال: نعم.

قال: لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها[1]. وأما الباقي فقد سجنوا في المطبق تحت الأرض ثم هدم عليهم!!.

أمام هذه المظالم، والتعديات على حريم الدين وحقوق الناس، صمم محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن على الثورة، وكانا يأتيان أباهما متنكرين ويستأذنانه بالخروج فيقول: إن منعكما أبو جعفر (المنصور) أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

وهكذا فقد «جرى الاتفاق على إعلان خلع المنصور في البصرة والمدينة في آن واحد ولو نجحت هذه الخطة إذن لتقوضت على الأرجح دعائم الحكم العباسي، إلا أن محمدا اضطر إلى الظهور قبل أن يتم أخوه استعداداته وهكذا تمكن المنصور من مهاجمتهما بالتتابع وقد استطاع محمد في بادئ الأمر أن يكتسح كل شيء أمامه، فقبض على عامل المنصور في المدينة وتمكن خلال بضعة أيام من أن ينشر سلطانه على جميع أنحاء

---

(١) المصدر ٥٢٦.

الحجاز واليمن فبايعه أهلها بالخلافة وأفتى الإمام أبو حنيفة والإمام مالك مؤسسا المذهبين الشهيرين بصحة دعوته، وإذ وجد المنصور أن تلك الحركة كانت أشد خطرا من توقع فقد التجأ إلى ما اشتهر به من خداع ومواربة وبعث بكتاب إلى النفس الزكية يعده فيه بالأمان على نفسه وولده وأخوته ومن تابعه وبإنزاله حيث شاء من البلاد ومنحه مبلغا كبيرا من المال.

فكتب إليه محمد يعده إن دخل هو في بيعته أن يؤمنه ويصفح عنه لأن الخلافة كانت من حقه ثم ختم الرسالة بقوله «أي أمان تعطيني؟! أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم»؟!.

وما كاد المنصور يبعث بهذا الكتاب حتى أرسل عيسى ابن أخيه على رأس جيش كبير لسحق النفس الزكية، وقبيل المعركة خيّر محمد أتباعه بين تركه ومؤازرته وعندئذ تفرق معظمهم إذ كانوا يخشون على أنفسهم وعائلاتهم ولم يبق معه سوى ثلاثمائة رجل يواجه بهم جيش المنصور، ونشبت معركة هائلة انتهت بمقتل محمد وأتباعه جميعا فدفنوا في مقبرة الشهداء بالقرب من المدينة.

أما إبراهيم فقد فسدت إجراءاته بسبب ثورة أخيه المبكرة ومع ذلك تمكن من حشد قوات كبيرة تمكن بها من إلحاق الهزيمة تكرارا بجيش المنصور إلى أن أصبح مركز العباسيين على جانب عظيم من الخطر بحيث صمم الخليفة على الفرار من الكوفة لولا أنه أوفد في اللحظة الأخيرة جيشا آخر بقيادة عيسى لمقاتلة إبراهيم فسار حتى وصل إلى موضع على ضفة الفرات جرت

فيه معركة انتهت بانكسار جيش الخليفة..»[1].

وكان سديف في تلك المعركة يجول مع إبراهيم، في المعركة يبعث الحماس بشعره، ويستنهض همم المقاتلين.. فها هو يخاطب المنصور قائلا:

أسرفت في قتل الرعية ظالما فاكفف يدك أظلها مهديها

فلتأتينك راية حسنية جرارة يقتادها حسنيها

وها هو يخاطب إبراهيم بن عبد الله قائلا:

إيه أبا إسحاق مُليتها في سيرة ترضى وعمر طويل

اذكر هداك الله ذحل الألى سير بهم في مصمتات الكبول

وكان المنصور قد بلغ منه الخوف كل مبلغ إذ كان شبح إبراهيم حاضرا معه في كل وقت فقد أهديت للمنصور عجة مخ وسكر فاستطابها، واستلذها فقال: أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأمثاله!! وبقدر ما كشف المنصور عن الدافع الأساسي الذي يجعله يخوض في الدماء، لكيلا يُحرم العجة، فقد كشف عن مقدار الخوف الذي يتملكه من ثورة إبراهيم.. وكان يكرر دائما أنه لا يعلم: هل رأسه لإبراهيم أم رأس إبراهيم له.

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدما

---

(١)مختصر تاريخ العرب/ ٢٠٧.

بينما إبراهيم يقاتل في بسالة منقطعة النظير وعدته أربعمائة رجل في مواجهة آلاف من جنود العباسيين.. إذ جاء سهم عاثر فوقع في حلقه.. فتنحى عن موقفه وقال: أنزلوني.. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ أردنا أمرا وأراد الله غيره..

وتتبع المنصور الثائرين بعد نهاية المعركة.. وكان، سديف في رأس القائمة.. فقد أمر عبد الصمد بن علي والي المدينة أن يقتله فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه، وقيل بل حمله إلى المنصور فدفنه حيا.. نعم.. دفنه حيا لكي ينعم بأكل عجة المخ والسكر !!.

الكميت بن زيد الأسدي

أبو المستهل

العمر: ٤٦ سنة

الوفاة: سنة ١٢٦ قتلاً بيد أعوان خالد القسري

«كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القران وكان كاتبا حسن الخط، وكان نسابة، وكان جدليا وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك، وكان راميا لم يكن في بني أسد أرمى منه وكان فارسا شجاعا، وكان سخيا دينا».

في شبابه، وحينما انفجر بركان الشعر الملتزم بداخله، كانت (الهاشميات)[1] ، ولم يكن الكميت قبلها معروفا بالشعر، إذ أن

---

(١)/ الهاشميات: روائع الكميت الشعرية قالها مدافعا عن منهج أهل البيت وحقهم في الإمامة ومعددا مظلومياتهم وكان لها صدى كبير في الأوساط الدينية والأدبية، وقد تميزت بالعاطفة الصادقه لأهل البيت، وهجاء أعدائهم هجاء سياسيا لاذعا، حتى قيل إن الكميت أول من نظم الحجاج والجدال للشيعة شعرا.
أولاها الميمية التي مطلعها:
من لقب متيم مستهام   غير ما صبوة ولا أحلام

الهاشميات ـ على قوتها وبلاغتها ـ كانت أول إنتاجه. ولعله لم يكن واثقا كل الثقة من شعره، أو هو ميل المرء عندما يبدأ بالجديد، وحاجته للتشجيع، لذلك جاء إلى الفرزدق بن غالب، الشاعر المشهور الذي يشترك معه في الولاء لأهل البيت، ودار بينهما الحوار التالي، إذ بدأ الكميت مخاطبا الفرزدق:

ـ يا أبا فراس. إنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي.

ـ صدقت.. أنت ابن أخي فما حاجتك؟!.

نفث لساني فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته وإن كان قبيحا أمرتني بستره وكنت أول من ستر عليه. وأعجب الفرزدق بمنطق الكميت، فقال له: أما

ثم البائية التي مطلعها:

طربت وما شوقا إلى البعض أطرب
ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

وكذلك بائيته التي مطلعها:

إني ومن أين آبك الطرب   من حيث لا صبوة ولا ريب

ولاميته ومطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمل   وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

وبائيته ومطلعها:

طربت وهل بك من مطرب   ولم تتصاب ولم تلعب

ورائعته العينية التي يبدأها بـ:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا   وهم يمتري فيها الدموعا

عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني ما قلت:

وهنا بدأ الكميت في إنشاده أبيات من بائيته، فقال:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

فقال الفرزدق: فيم تطرب يا ابن أخي؟! وأكمل الكميت قائلا:

ولا لعبا مني، وذو الشوق يلعب!

فقال الفرزدق: بلى يا ابن أخي: فالعب فإنك في أوان اللعب،

وتابع الكميت إنشاده:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

وأمام دهشة الفرزدق الذي قال: فما يطربك يا ابن أخي؟! فقال الكميت:

ولا السانحات البارحات عشية

أمر سليم القرن أم مر أعضب

ولكن إلى أهل الفضائل والتقى

وخير بني حواء والخير يطلب

فقال: ومن هؤلاء؟ ويحك، فأكمل:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نـابني أتقـرب

ونفذ صبر الفرزدق قائلا: ويحك أرحني! من هـؤلاء؟! فقـال الكميت أخيرا:

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

قال: لله درك يا بني أصبت فأحسنت إذ عدلت عن الزعانف والأوباش، إذاً لا يـصرد سـهمك ولا يكـذب قولـك، ثم أكمـل قائلا:

خفضت لهم مني جناح مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبـا علـى إني أذم وأغـضب

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها وإني لأوذى فـيهم وأؤنـب

وأمام هذه المعاني الجادة الملتزمة، والسبك المـتين الرائـع قـال الفرزدق:

ـ يا ابن أخي أظهر ثم أظهر وكِد الأعداء فأنـت والله أشـعر من مضى وأشعر من بقي![1].

وما أن أذاع الكميت هاشمياته حتى انطلق نجما محلقا في سماء أفضل الشعراء وحـتى تحولـت إلى (حـديث النـاس) فالهـاشميون وأنصار أهل البيت وجدوا فيهـا تبويبـا لطيفـا لحججهـم فيمـا يرتبط بأمر الإمامة، وأعداء الحكم الأمـوي اكتـشفوا فيهـا كـنز

---

(١)مروج الذهب ٣/ ٢٤٣.

تعبئة ثورية، بل روى بعضهم قائلا: أدركت الناس بالكوفة من لم يرو.

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

فليس بشيعي!!.

ولنتابع مسيرة هذا الشاعر المناضل، وموقعه في مدرسة أهل البيت، لنرى كيف كان تقدير الأئمة له.

فقد دعا له الإمام السجاد بسعادة الحياة وبالشهادة، حكى صاعد مولى الكميت، قال: دخلت مع الكميت على علي بن الحسين فقال له: إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ثم أنشده قصيدته التي أولها:

من لقلب متيم مستهام غير ما صبوة ولا أحلام

فلما أتى على آخرها قال له ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فالله لا يعجز عن مكافأتك: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت ثم قسط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم، وقال له: خذ يا أبا المستهل، فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفا لي. ولكن إن أحببت أن تحسن إلي فادفع إلي بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرك بها، فقام ونزع ثيابه ودفعها إليه كلها ثم قال: اللهم إن الكميت جاهد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضن الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحق فأحيه سعيدا وأمته شهيدا وأره الجزاء عاجلا وأجزل له جزيل

المثوبة آجلا فأنا قد عجزنا عن مكافأته، قال الكميت: مازلت أعرف بركة دعائه[١].

وبعد رحيل الإمام السجاد اختص الكميت بابنه الباقر عليه السلام باعتباره إمامه، وقائده، وكان عندما ينشده شعره، يطلب الإمام من الله للكميت الرحمة والمغفرة، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الإمام الصادق، فبالرغم من أن الشعر محظور في أيام الحج، ولعل ذلك لما يتضمنه الشعر ـ عادة ـ من المبالغة والكذب، إلا أن الكميت عندما يدخل على الإمام ينشده شعرا قاله في مدح أهل البيت، يعتبر الكميت ذلك عملا عباديا، لا يتنافى مع موقع الحج فعن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟! قال: إنها أيام عظام!!

فقال (الكميت): إنها فيكم، قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب فأنشده، فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلما مر على قوله في الحسين:

كأن حسينا والبهاليل حوله   لأسيافهم ما يختلي المتبتل

وغاب نبي الله عنهم وفقده   على الناس رزء ما هناك مجلل

فلم أر مخذولا لأجل مصيبة   وأوجب منه نصرة حسين يخذل

فرفع الإمام يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى، ثم أعطاه ألف دينار

(١)الغدير ٢/ ١٨٩ عن خزانة الأدب.

وكسوة فقال له: الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله.

وهكذا استمر حاملا روحه على كفه وكما قال السجاد جاهد في آل رسول الله بنفسه حين ضن الناس، ناشرا مظلومية أهل البيت وحقانية توجهاتهم، وناعيا على ظالميهم، محفزا الناس للثورة عليهم، والثأر لشهداء آل الرسول.

وكان لسانه أمضى من السنان، وشعره أقوى من العاصفة، إنه عندما يرفع شعاره، يتبعه المظلومون والمضطهدون لأنهم يجدون فيه ضميرا يشعر بإحساسهم، ولسانا يتكلم عنهم ها هو يعبر عن شعور الألوف من الناس الذين وجدوا بني أمية قد سلوا سيف البغي القاطع على أولياء الله الصادقين، و (قاموا يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع) مع صنائعهم ومرتزقتهم..

فقل لبني أمية حيث كانوا وإن خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

ولذلك كان من الطبيعي أن ينال الشهادة، فالشهادة ليست إلا ميراث هؤلاء الرجال.. لقد تنبه الحكام الأمويون إلى الدور الاستثنائي الذي كانت هاشميات الكميت تقوم به في حشد ولاء الناس لأهل البيت، وفي تركيز وعي الناس بقضية الإمامة، وفي تحطيم الهيكل الذي صنعه الأمويون عنه الناس، تحطيم ذلك بإيجاد مقارنات بين صفات الطهر في أهل البيت وفي نقيضها

لدى بني أمية، لقد كان يصرخ:

ساسة لاكمن يرى رعية النا س سواء ورعية الأنعام

لا كعبد المليك أو كوليد أو كسليمان بعد أوكهشام

من يمت لا يمت فقيدا وإن يحيا فلا ذو إل ولا ذو ذمام

وهكذا كتب هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري بأنه يأخذ الكميت (فيقطع يديه ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها).. فقط لا غير!!.

فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وسجن بانتظار تنفيذ الأحكام فيه.. إلا أن أحد أصدقائه وهو أبان بن الوليد وكان قد عرف عن تلك القرارات، فأرسل إليه من يخبره.

بقي الكميت يفكر في طريقة للخلاص، وهكذا أرسل إلى زوجته أن تأتي ومعها لباسها وخفان، ودخلت عليه سجنه، فلبس الثياب التي جاءت بها، واتفق على أن تبقى في سجنه، بينما يخرج متنكرا وبالفعل، فقد خرج الكميت متنكرا في ملابس زوجته وهو يقول:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل

على الرغم من تلك النوايح والمشلي

علي ثياب الغانيات وتحتها

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

وهكذا استطاع أن ينجو من السجن.

وتمر الأيام وكما يزداد عداء خالد القسري للكميت، تزيد عدد قصائد الكميت وهجاءاته لخالد حتى عزل خالد ـ ضمن الصراع الدائر بين القبائل ـ وعين مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فدخل عليه الكميت، وبدأ يمدحه ـ معرضا بخالد ـ:

وما خالد يستطعم الماء[1] فاغرا

بعدلك والداعي إلى الموت ينعب

هذا والحراس قيام على رأس يوسف، وكانوا حراس خالد، وهم يمانيون، فتعصبوا لخالد ووضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت فوجؤوه بها، قائلين: أتنشد الأمير ولم تستأمره؟! فلم يزل ينزف حتى مات.. رحمة الله عليه[2].

وكما كانت بدايته مع أهل البيت مصاحبا لهم ومدافعا عنهم، ومادحا إياهم، فقد كانت نهايته كذلك، فقد حدث ابنه المستهل أنه لما حضرت الكميت وفاته، أغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه وقال ثلاثا: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، اللهم آل محمد.

وقبل أن نطوي هذه الصفحة الطاهرة من حياة بطل من

---

(١)إشارة إلى خالد القسري عندما خرجت عليه جماعة مسلحة في المدينة، ووصل الخبر إليه وهو يخطب على المنبر، ففزع فزعا شديدا ودهش حتى لم يدر ماذا يقول، فقال: أطعموني ماء!!.

(٢)الغدير ٢.

أبطال الرسالة ننقل فقرات من إحدى قصائده (الهاشميات) السابقة..

ألا هل عم في رأيه متأمل

وهل مدبر بعد الإساءة مقبل[١]

وهل أمة مستيقظون لرشدهم

فيكشف عنه النعسة المتزمل[٢]

فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى

مساويهم لو كان ذا الميل يعدل[٣]

وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التي نتنحل[٤]

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل

---

(١)ألا أداة استفتاح وعم: من عمى البصيرة. فيقال رجل عم في امره لا يبصره ورجل اعمى في البصر.

(٢)المتزمل النائم المتلفف بثيابه والنعسة النومة من النعاس وهو السنة من غير نوم.

(٣)الكرى النوم والمساوي العيوب جمع مساءة والميل أراد الميل عن الحق والجور والظلم. يقول: طال سكوت الناس عن المظالم واغماضهم العيون على القذى لا يحركون ساكنا ولا يطالبون بحق حتى ظهر الجور فلو أن هذا الميل والحيف يعدل ويغير بالعدل في الرعية لكان سكوتهم أكمل لهم.

(٤)نتنحل: من النحلة وهي الدعوى. والملة: الدين.

رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل

ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جُنَة مما نخاف ومعقل[١]

أرانا على حب الحياة وطولها يجد بنا في كل يوم ونهزل[٢]

نعالج مرمقاً من العيش فانيا

له حارك لا يحمل العبء أجزل[٣]

فتلك أمور الناس أضحت كأنها

أمور مضيع آثر النوم بهل[٤]

---

(١)الجنة: الوقاية والمعقل الحرز.

(٢)يجد من الجد ضد الهزل. يقول: اننا في هذه الحياة غافلون ساهون عن واجباتنا نحب أن تطول أيامنا ولا ندري ماذا يصير إليه أمرنا ونحن في تقصير وخمول.

(٣)٣ ـ المرمق من العيش الدون اليسير. وقوله له حارك أجزل: يعني العيش والحارك مفصل العنق في الصلب والاجزل من به قروح في الكتفين يقال بعير أجزل. والعبء الثقل يقول: نحن نعالج ونقاسي آلام الحياد والمعيشة الخسيسة ونقاوم المتاعب مقاومة عظيمة.

(٤)يقول: أمور الناس ضائعة كأنها الإبل المهملة تسرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع. إنما يعني هشام بن عبدالملك آثر الدعة والرفاهية على النظر في أمر دينه وأمر رعيته كما آثر هذا المضيع على تضييع أبله وغنمه باهمالها. وبهل نعت للامور.

فيا ساسة هاتوا لنا من حديثكم
ففيكم لَعَمري ذو أفانين مقول[١]

ألم يتدبر آية فتدله على ترك ما يأتي أم القلب مقفل

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم
فحتى مَ حتى مَ العناء المطول

رضوا بفعال السوء من أمر دينهم
فقد أيتموا طوراً عداءً و أثكلوا

كما رضيت بخلاً وسوء ولايةٍ
لكلبتها في أول الدهر حومل[٢]

نباحاً إذا ما الليل أظلم دونها وضرباً وتجويعاً خبال مخبل[٣]

---

(١)المقول اللسان البليغ وأفانين أي ضروب الكلام وفنونه ومتنوعاته.

(٢)حومل امرأة من العرب كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار وتقول: التمسي لنفسك لا ملتمس لك فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع. يقول: إن رعايتهم للأمة كرعاية حومل لكلبتها.

(٣)نباحا: أي تنبح دونها وتحرسها ثم تعاملها بالضرب والتجويع. وخبال مخبل أي فساد مفسد.

وما ضـرب الأمثـال في الجـور قبلنـا

لاجـــور مـــن حكامنـــا المتمثـــل

هــم خوفونــا بــالعمى هــوة الــردى

كمــا شـــب نــار الحــالفين المهــول[١]

لهم كل عام بدعة يحـدثونها أزلوا بهـا أتبـاعهم ثم أوجلـوا

كما ابتـدع الرهبـان مـا لم يجـيء بـه

كتـــاب ولا وحـــي مـــن الله مـــنزل

تحل دماء المـسلمين لـديهم ويحـرم طلـع النخلـة المتهـدل

ولــيس لنــا في الفــيء حــظ لــديهم

ولـيس لنـا في رحلـة النـاس أرحـل[٢]

فيا رب هـل إلاّ بـك النـصر يرتجـى

علـــيهم وهـــل إلا عليـــك المعـــول

---

(١)المهول المحلف. وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يستحلفوا الرجل أو قدوا نارا وألقوا فيها ملحا فيتفقع فيهولون بها.
(٢)الفيء ما يفئ عليهم من الغنائم يقول: اننا محرومون من الغنائم وحقوقنا مغتصبة وليس لنا ما نركب عليه من الدواب فنغزو مع الناس.

ومــن عجــب لم أقــضه أن خيلــهم

لاجــوا فهــا تحــت العجاجــة أزمــل[(١)]

همــــاهم بالمـــــستلئمين عــــوابس

كحدآن يــوم الــدجن تعلــو وتــسفل[(٢)]

يحلئن عن ماء الفرات وظله

حــسيناً ولم يــشهر علــيهن منــصل[(٣)]

كأن حسيناً والبهاليل حوله لأسيافهم ما يختلي المتبقـل[(٤)]

يخـضن بـه مـن آل أحمـد في الـوغى

دمــاً ظــل منــهم كالبــهيم المحجــل[(٥)]

وغاب نبي الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك مجلل

---

(١)الازمل الصوت وجمعه الازامل.

(٢)هماهم من الهمهمة وهو ترديد الصوت في الصدر. وحدآن جمع حدأة طائر معروف والدجن الغيم.

(٣)يحلئن أي يمنعن أيضاً والمنصل السيف.

(٤)البهاليل جمع بهلول الضحوك والمتبقل الذي يأخذ البقل يقول: ان دم الحسين ومن معه حلال لأسيافهم كما يختلي المتبقل فينتقي ما شاء من البقل.

(٥)يخضن أي الخيل.يقول: ظل المحجل من الخيل كالبهيم الذي لا إشارة فيها من كثرة ما سال من الدم.

فلـــم أرَ مخـــذولا أجـــل مـــــــــــــــصيبة وأوجب منه نصرة حين يخذل

يصيب به الرامـون عـن قـوس غـير
هم فيا آخـراً أسـدى لـه الغـي أول[(١)]

تهافـــت ذبـــان المطـــامع حولـــه
فريقـــان شـــتى ذو ســـلاح وأعـــزل[(٢)]

إذا شـــرعت فيـــه الأســـنة كـــــــــــــــــــــبرت غواتهم من كـل أوب وهللـوا

فمـا ظفـر المجـرَى إلـيهم برأســــــــــــــــــــه ولا عذل الباكي عليه المولـول

فلـــم أر موتـــورين أهـــل بـــصيرة

---

(١)فيا آخراً: يعني هشاما وأول: يعني أول آبائه. الرامون: يعني الذين قاتلوا. وغيرهم: يعني الآمر بقتله وهو يزيد. وأسدى أعطى ومنح.
(٢)تهافت أي تساقط وتزاحم على الفتك به أهل الطمع والخسة وهم أتباع يزيد كما يتهافت الذباب على الشراب. والأعزل الذي لا سلاح معه.

وحــق لهــم أيــد صــحاح وأرجــل[١]

كــشيعته والحــرب قــد ثفِيــت

لهــم أمــامهم قــدر تجــيش ومرجــل

فريقــان هــذا راكــب في عــداوة

وباك على خذلانه الحق معول

فمــا نفــع المــستأخرين نكيــصهم

ولا ضــر أهــل الــسابقات التعجــل

فــإن يجمــع الله القلــوب ونلقهــم

لنــا عــارض مــن غــير مــزن مكلــل[٢]

سرابيلنا في الروع بــيض كأنهــا أضَــا

---

(١)الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. ويريد بالموتورين أصحاب الحسين. لم أر مثل هؤلاء الموتورين لم يدافعوا ولم يأخذوا بالثأر وهم قادرون.

(٢)العارض السحاب. والمزن السحاب الابيض مكلل أي مخيم كثيف نعت للعارض ويريد بالعارض هنا الجيش. يقول: ان جمع الله قلوبنا وتحفزنا للقائهم فان لنا جيشا عرمرماً مكللا بالسلاح. ويريد بقوله من غير مزن: أي ليس العارض من ماء المزن ما وإنما هو من الرجال الأبطال.

اللــوب هزهـا مـن الـريح شمـأل[١]

على الجرد من آل الوجيـه ولا حـق

تـذكرنا أو تارنـا حـين تـصهل[٢]

نكيل لهم بالـصاع مـن ذاك أصـوعاً

ويـأتيهم بالـسجل مـن ذاك أسـجل[٣]

ألا يفـزع الأقـوام ممـا أظلـهم

ولمـا تجبـهم ذات ودقـين ضـئيل[٤]

إلى مفـزع لـن ينجـي النـاس مـن

عمـى ولا فينـة إلا إليـه التحـول

---

(١)السرابيل الدروع التي يلبسونها في الحرب. والروع الفزع. واللوب جمع لوبة الحرة وهي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود. والأضا جمع إضاءة وهي الغدران والشمأل الشمال وخص الشمال لأنها تحدث بمرورها على الماء حبكاً وطرائق.

(٢)الجرد جمع أجرد القصار الشعور من الخيل. والوجيه ولاحق فرسان نجيبان من خيل العرب.

(٣)الصاع الكيل والسجل الدلو يقول: متى نلقهم بجمعنا نوقع بهم من الشدة والصرامة أضعاف ما نلنا منهم.

(٤)وذات ودقين: أي حرب شديدة. والودق المطر يقال للحرب الشديدة: ذات ودقين تشبيها بسحاب ذات مطرتين شديدتين.

إلى الهاشميين البهاليل إنهم لخائفنا الراجي ملاذ وموئل

إلى أي عدل أم لأية سيرة سواهم يؤم الظاعن المترحل

وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهم

إذا الليل أمسى وهو بالناس أليل

إذا استحكمت ظلماء أمر نجومها

غوامض لا يسري بها الناس افل

وإن نزلت بالناس عمياء لم يكن

لهم بصر إلا بهم حين تشكل

فيا رب عجل ما يؤمل فيهم ليدفأ مقرور ويشبع مرمل

وينفذ في راض مقر بحكمه

وفي ساخط منا الكتاب المعطل

فإنهم للناس فيما ينوبهم

غيوث حياً ينفي به المحل ممحل(١)

وإنهم للناس فيما ينوبهم

---

(١)الحيا الخضب. والمحل الجدب والممحل الذي دخل في المحل.

أكـف نـدى تجـدي علـيهم وتفـضل

وإنهـــم للنـــاس فيمـــا ينـــوبهم

عرى ثقـة حيـث اسـتقلوا وحللـوا[١]

وإنهـــم للنـــاس فيمـــا ينـــوبهم

مـصابيح تهـدي مـن ضـلال ومـنزل[٢]

---

(١)عرى ثقة: أي يوثق بهم ويعتمد عليهم في الملمات. واستقلوا: أي سافروا. وحللوا من الحلول أقاموا.

(٢)عن الروضة المختارة / صالح علي الصالح.

نساء حول الإمام الباقر عليه السلام

أم الأسود بنت أعين الشيباني

المستبصرة الفاتحة

بقيت إلى أيام الإمام الكاظم عليه السلام

يتأثر عامة الناس في حياتهم ـ عادة ـ بظروفهم المحيطة بهم، فتشترك تلك الظروف في صناعة حاضرهم ومستقبلهم، فترى للوضع المادي الذي يعيشه الإنسان جزءا من التأثير، وللعائلة التي ينشأ فيها جزءا آخر، وللأفق الاجتماعي الذي يقيم معه علاقاته جزءا ثالثا، وهكذا..

والقليل من الناس هم الذين لا يتأثرون بتلك الظروف فيخرجون من أسرها، ويتخلصون من ضغطها، ويتخذون قراراتهم، ويشكلون حياتهم من غير خارج دائرة ضغطها. ولهذا تكون المسافة ـ عادة بين طموحات الإنسان، ووعيه ـ وبيان قدرته على تنفيذها وتحقيقها..فهو يرى أن الوضع الكذائي أنسب، وأن الطريق الفلاني أحسن، ولكنه لا يحقق ما رآه حسنا.. بل لا يستطيع أن يخرج من أسر ظرفه العائلي ولا الاجتماعي، وأحيانا حتى لا يستطيع الخروج من أسر شهواته، وضغط رغباته التي تعيقه.. فهو يريد التقدم ولكن يبقى في حب الكسل، ويريد الانطلاق الحر ولكنه مربوط بتقاليد العائلة، ويريد، ويريد..

وأقل من ذلك القليل من يصنعون الظروف، ويغيرون الاتجاه الحاكم على العائلة بل على المجتمع، فينتخبون لهم طريقا جديدا، ويشقون لهم اسلوبا متميزا.. وهؤلاء هم صناع الأمم، ومغيرو المجتمعات ـ على اختلاف دائرة تغييرهم فيها ـ. هؤلاء في البداية يتنبهون إلى خطأ ما عليه المجتمع المحيط بهم، وهذه خطوة يقوم بها الكثير في حدود التنبه والنقد، لكن هؤلاء الذين نتحدث عنهم لا يكتفون بهذا المقدار بل يرون أنهم معنيون بتغيير ذلك الخطأ الموجود، وأنه قادرون على ذلك، وهنا ينفصل الأكثر عنهم، فمع أن الكثير يعون الخطأ ولكنهم يفصلون أنفسهم عن المسؤولية، أو لا يرون في أنفسهم الكفاية لحملها، والواعون الذين نتحدث عنهم يعون المسؤولية ويثقون بقدرتهم على تحملها، ثم يتحركون في اتجاه ما عرفوه وتحمل الحق الذي رأوه، متجاوزين بذلك العقبات النفسية والاجتماعية، والخارجية؟..

وإذا كان تأثر الرجال بالأوضاع المحيطة بهم، وانفعالهم بها، موجودا إلى درجة أن شخصا مثل الزبير بن العوام الذي كان يعد في طليعة الفدائيين، والمدافعين عن خط الرسالة، حتى أن عليا عليه السلام ـ كما ينقل لما جيء له بسيف الزبير بعد أن قتله ابن جرموز غيلةً، قلبّه وقال: سيف طالما ذب الكرب عن وجه رسول الله، وهو ـ أو مثله ـ السيف الوحيد الذي سحب من غمده للدفاع عن حق علي عليه السلام في موضوع السقيفة، فإنهم لما جاؤوا ليأخذوا أمير المؤمنين، امتشق الزبير سيفه مدافعا، فاجتمع عليه عدد من المهاجمين وأخذوا سيفه، وضربوه على صخرة حتى كسر، هذا الرجل ذو المواقف الطيبة، كان «منا أهل

البيت» إلى أن بدأت ضغوط العائلة والولد عبد الله بالذات فـإذا به يتغير ويترك هذا الخط ويفقد هذا الوسام وهو مـا أشـار إليـه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله»[1].. إذا كـان هـذا الأمـر موجـودا في عـالم الرجال بنسبة فهو في النساء قائم بنسبة أكبر بكثير، فكم يلاحظ المراقب حالات من الانفعال والتأثر بالظروف، في حيـاة المـرأة في مجتمعنا، حتى أنك لترى هذه المرأة أو تلك في طريق الهداية حـتى إذا تزوجت وفرض عليها زوجها مسارا جديدا، تقبلته وسـارت على وفقه، وقد كانت قبل ذلك في دائرة التأثر والانفعال بالنسبة لأبيها أو أخيها الأكبر، مما جعل هذه المـرأة عـاجزة عـن الفعـل الايجابي، وخارجة عن دائرة التغيير الاجتماعي..

ولهذا فإنه إذا وجدت امرأة من هـذا النـوع، متمـردة علـى الأوضاع، رافضة للضغوط المحيطة بها، واختـارت طريـق الهدايـة والإيمان، وتحملت في سبيل ذلك الأذى والاضطهاد، وخالفت ما كان يجري حولها من انحراف فإن القرآن يؤرخ موقفها ويخلـد لهـا وقفتها، ويعتبرها مـثلا لا للنـساء فحـسب، بـل للـذين آمنـوا ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِـهِ وَنَجِّنِـي مِـنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِـي أَحْـصَنَتْ فَرْجَهَـا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِـنَ الْقَانِتِينَ﴾[2].

---

(١)/ نهج البلاغة ـ قصار الحكم.
(٢)سورة التحريم: ١١ـ ١٢.

هذا كله بالنسبة لتلك التي لم تتأثر بالضغوط والظروف المحيطة بها، وسلكت طريق الهداية والإيمان، فما ظنك بمن اجتازت كل ذلك، وصنعت طريقا جديدا في أسرتها، وغيرت الاتجاه الخاطئ الذي كان سائدا، وغرست غرسا ظهرت نتائجه الكثيرة والصالحة في وقت قصير؟

تلك هي أم الأسود بنت أعين الشيباني رضوان الله عليها. فقد انتمت إلى التشيع وعرفت طريق أهل البيت على يد أبي خالد الكابلي، وكانت (أول من عرف هذا الأمر من آل زرارة..). ونحن وإن كنا لا نعلم عن طريقة الاتصال تلك وكيف كانت، وهل أن المبادرة كانت من قبل أبي خالد الكابلي فاختار هذه المرأة الصالحة وركز عليها لكي يدخلها التشيع؟ أو أن المبادرة جاءت من قبلها، وأنها هي التي تحركت باتجاه الانتماء إلى هذا الطريق وحصل أن وجهها أبو خالد إليه، حتى غدت أول واحدة فيه من آل زرارة، لكن أيا يكن فإن الأمر الذي حصل كان مهماً، خصوصا أن مثل أبي خالد لم يكن ليفعل شيئا من هذا القبيل من غير نظر إيجابي من الإمام السجاد عليه السلام، في تلك الفترة الحرجة حيث لم تكن الدعوة إلى التشيع أمرا شائعا، بل يخضع للأوضاع المحيطة..بل وجدنا أنه حتى في وقت متأخر كان هناك نهي عن الدعوة إلى المذهب ـ بشكل غير ممنهج ـ ونشهد روايات مثل «ما لكم وللناس، دعوهم» و «لا تدعوا الناس إلى هذا الأمر، فإن الله إذا أراد بعبد خير عرفه هذا الأمر حتى يكون أسرع إليه من الطير إلى وكره..» ومثله روايات كثيرة..

ومما يؤسف له أن المعلومات المتوفرة عن تأريخ هذه المرأة

الرسالية، والفاتحة ضئيلة جدا، سواء عما قبل انتمائها أو عن طريقة الانتماء، أو عن دورها فيما بعد.. وإن كان أصل الانتماء هذا والمبادرة إليه شيئا هاما، وعلى كل حال فإن لنا وقفة قصيرة مع ما ذكره الرجاليون هنا.

فقد ذكر أبو غالب الزراري في كتابه تاريخ آل زرارة قائلا:.. ولهم أخت يقال لها: (أم الاسود) ويقال: إنها أول من عرف هذا الامر منهم من جهة أبي خالد الكابلي.

وقال العلامة في الخلاصة: أم الاسود بنت أعين: عارفة، قاله علي بن أحمد العقيقي وهي التي أغمضت زرارة. وقد ذكرها في قسم الممدوحين..

ولنا أن نتوقف قليلا عند ذكر الأستاذ، والمربي وهو الكابلي أبو خالد؛ ثم عند ذكر المرأة العارفة وأخيرا عند ذكر العائلة التي دخل إليها التشيع بعد اعتنقته أم الأسود.

أما أبو خالد الكابلي، فقد وصف في الروايات بأنه من حواريي زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وأنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حواريو علي بن الحسين فيقوم خمسة نفر:..ومنهم أبو خالد الكابلي. وهو الذي يوصف أيضا بأنه ممن لم يرتد على الأدبار كما فعل سائر الناس بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ولقد ذكرنا في موضع آخر[1] أن الارتداد هنا ليس بمعناه الاصطلاحي وإنما هو تعبير عن حالة الهزيمة النفسية

---

(١)بناء القادة في منهج أهل البيت للمؤلف.

والتراجع المعنوي الذي سيطر على الكثيرين اثر شهادة الحسين عليه السلام بذلك النحو المفجع. ووصف الفضل بن شاذان تلك المجموعة (الحواريين) بأنه لم يكن في زمن علي بن الحسين في أول أمره إلا خمسة أنفس، ومن بينهم الكابلي.

أبو خالد هذا..كان في أول أمره يذهب إلى القول بإمامة محمد بن الحنفية باعتباره بعد الإمام الحسين عليه السلام أكبر أولاد الإمام علي عليه السلام وأصلحهم، وكان يظن ـ كغيره ـ بأن الإمامة فيه، وظل يخدمه مدة من الزمان، إلى أن سأله بصراحة عن ذلك، فأجابه محمد بن الحنفية بصدق وأمانة أن الإمامة هي في نسل الحسين عليه السلام، وأن الإمام هو علي بن الحسين. فجاء إليه وعرف من آياته ما يدل على إمامته، فالتصق به، وآمن وظل يجاهد داعيا إليه، ومعرفا بفضله، ويستقطب الناس إلى الانتماء إلى منهجه، وكأنه بعد أن خاض تجربة في الانتماء إلى غير الإمام، ولو أنه في النهاية بصدق محمد بن الحنفية وصل إلى الإمام الحق، لكنه يخشى أن لا يتوفر لغيره من يصدق معه، فيزل ويضل.. ولذلك وجدنا أن عددا كبيرا من أحاديث النصوص على أئمة أهل البيت والإرشاد إليهم، وتعداد أسمائهم، إلى الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه[1]، بل وبيان بعض ما يترتب على المؤمن في زمن غيبته، وشرح أمور الغيبة تلك، ينقل عن أبي خالد الكابلي، وبعضها بسؤال منه.

وأما عن المرأة فقد ذكروا أنها عارفة، ويحق للمرء أن يتأمل

---

(١)الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي.

في هذا المعنى، فالمعرفة هي بداية الطريق إلى العمل، فـ «ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة» كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، وإذا كانت الأعمال البسيطة يحتاج فيها المرء إلى المعرفة، فما ظنك بالعمر كله، وبتعيين الاتجاه الذي ينبغي أن يُسلك؟ هذا في العمل..وأما في العقيدة والإيمان بالله سبحانه فـ «إن أول عبادة الله معرفته»، و «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال» كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

وفي العبادة فإن التفاضل هو بالمعرفة فـ «بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجا من بعض وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياما من بعض، وأفضلكم أفضل معرفة»[1].

كانت المعرفة هي الخطوة الأساس التي بنت عليها أم الأسود حركتها في الانتماء لمذهب أهل البيت عليهم السلام، على يد عارف آخر وأستاذ واعٍ هو أبو خالد الكابلي، وقد أنتج هذا أن كانت هذه الاسرة أسرة علمية عارفة، ظلت تمد التاريخ الشيعي منذ أيام الإمام الباقر عليه السلام وحتى أيام الغيبة الصغرى بالفطاحل من الرواة والفقهاء، والعلماء المتبحرين في أكثر من جهة علمية. فـ «إنه قل رجل منهم إلا روى الحديث، وقد جمع من روى الحديث منهم فكانوا ستين رجلا»، وكانوا من حيث المستوى كما يقول ابن عقدة «كل واحد يصلح أن يكون مفتي بلد..».

---

(١)ميزان الحكمة ٥.

ولقد كان تميزهم ـ خصوصا في أيام الصادق عليه السلام ـ مشهورا، فقد قال ربيعة الرأي للإمام: ما هؤلاء الإخوة الذين يأتونك من العراق ولم أرَ في أصحابك خيرا منهم ولا أهيأ؟ فقال: هؤلاء أصحاب أبي عليه السلام. ولهذه المنزلة التي كانت لديهم من العلم والمعرفة وصدق الانتماء فقد كانوا محل غضب من قبل السلطة الحاكمة الأموية، فإنه لما جاء الحجاج الثقفي إلى الكوفة، قال: لا يستقيم لنا الأمر ومن آل أعين رجل تحت الحجر.. فطلبوا أشد طلب[1]، حتى اختفوا وتواروا إلى أن هلك الحجاج الثقفي.[2]

«لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»، ليس يقتصر على الذكور، بل الهداية والثواب المترتب عليها شامل للنساء خصوصا إذا كانت تلك النساء، كمن ذكرنا.. بل ربما كانت أبلغ تأثيرا، وأحمد عاقبة، وأكثر إنتاجا..كانت هذه المرأة هي الفاتحة لآل أعين، المبادرة إلى قبول الحق، وكانت الشجرة الطيبة التي آتت أكلها، رجالا فقهاء، ورواة علماء..فسلام الله عليها وعلى تلك العائلة الطيبة،

---

(١)وربما يكون ما روي ـ على فرض صدوره ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في ذم زرارة، والتي كانت بمثابة إعلان للسلطات بأنه ليس موضع سر الأئمة عليهم السلام، لكي يخف الطلب عنه، ولا يؤذى، أقول لعل تلك الأحاديث صدرت في تلك الفترة الحرجة، حتى إذا تقشع غيم الظلم، أرسل الإمام إلى ابن زرارة وأخبره أن عيبه لزرارة هو كخرق الخضر عليه السلام تلك السفينة إنما هو لانقاذها من الملك الظلوم الغشوم الذي يأخذ كل سفينة غصبا، وإن وراء زرارة ملكا ظلوما!!

(٢)للتفصيل يراجع تاريخ آل زرارة لأبي غالب الزراري.

والفروع الزاكية وحشرها الله ـ وإياهم ـ مع سادتهم آل بيت رسول الله ﷺ، ورزقنا مرافقتهم في جنان الله الخالدة.

أم سلمة زوجة مهاجر الأزدي

والدة محمد بن مهاجر بن عبيد الأزدي

يختلف الناس في توجهاتهم الفكرية، ومذاهبهم الدينية، وهذا أمر طبيعي. مع أنه لا ينشأ في الغالب عن اختيار وتفكير، وإنما كثيرا ما كان ناشئا عن تقليد للآباء والأمهات، وانسياق مع المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

ولعل تركيز القرآن الكريم على معالجة كيفية الإيمان، والتحذير من الاعتقاد بما اعتقده الآباء، من دون النظر إلى كونه حقا أو باطلا، إنما يهدف إلى إرساء أسس صحيحة في الإيمان والاعتقاد. فليس من الصحيح أن يترك ما عند الآباء من أفكار ومعتقدات بمبرر أنها (أفكار الجيل القديم) أو (معتقدات العجائز) كما أيضا ليس من الصحيح أن يتم القبول بها طرا لأنها أفكار الآباء والأجداد وسيرة السابقين.

وإنما الصحيح أن ينظر الإنسان بعد اكتمال قدراته العقلية إلى ما بين يديه من أفكار وعقائد، فيناقشها بالمنطق السليم، ويلتزم منها ما هو صحيح، تاركا غير الصحيح.

والحق أنها عملية ليست يسيرة، ولو كانت بهذه البساطة والسهولة لوجدت أغلب الناس يتبعون الحق وليسوا كذلك.

ولا سيما عندما تكون الكثرة الاجتماعية والفئة الغالبة صاحبة فكرة معينة فإن هذا يشكل ضغطا شديدا على الإنسان، فلا يستطيع عندها أن يخالف ما ذهبت إليه تلك الأكثرية، وهذا ما يطلق عليه بعض علماء الاجتماع (صنم المجتمع). حيث تتحول الكثرة إلى مقياس وإلى قيمة تصحح ما عندها من أفكار، وتخطّئ غيرها من الأقليات، لا لشيء إلا لأن هذه هي الأكثر عددا.

وقد وجدنا القرآن الكريم ينكر على الناس هذا الاعتقاد، فيتحدث عن الكثرة حديثا سلبيا في هذه الجهة، فيقول في مواضع متعددة إن أكثر الناس لا يؤمنون، وفي مواضع أخرى أكثر، أن أكثر الناس لا يعلمون، وأنهم لا يشكرون. وذلك من أجل إسقاط قيمة الكثرة بما هي[1].

المشكلة هي حين يقوم مثل هذا الشخص الذي يؤمن عن تقليد، ويمارس عباداته عن غير معرفة وإنما ينطلق من حالة كونه (مع الناس)، وأن دليله هو أن (الناس يعملون هكذا) بتخطئة الآخرين وتوبيخهم من دون النظر إلى أدلتهم، وآرائهم.

ومع هذه النوعية من الناس يصعب الحوار والنقاش، فإنه قد اتخذ موقفا مسبقا بأن طرف الحوار خاطئ، ولا يعلم لماذا هو خاطئ، ويرى نفسه مصيبا ولا يعلم كيف هو مصيب؟ فقد يكون السكوت هنا أجدى.

---

(١)﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرض يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام:١١٦)

وهذا ما حصل للراوية الفاضلة أم سلمة. فقد روى الشيخ الصدوق في العلل، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن حاتم، قال: حدّثني علي ابن محمّد، قال: حدّثنا العباس ابن محمّد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن مهاجر، عن اُمّه أم سلمة قالت:

خرجتُ إلى مكة فصحبتني امرأة من المرجئة[١]، فلمّا أتينا الربذة[٢] أحرم الناس[٣] وأحرمتْ معهم، فأخّرتُ احرامي إلى

---

(١)المرجئة: بضم الميم وتسكين الراء وكسر الجيم، فرقة من فرق المسلمين تعتقد بأنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وأن الإيمان قول بلا عمل وأن أصحاب الكبائر إذا ماتوا غير تائبين فإن أمرهم إلى الله ولا نحكم عليهم في الدنيا بشيء ولا ننعتهم بصفة الفسق أو الكفر أو غيرهم. ويقول البعض أن تأسيس هذه الفرقة كان أيام الأمويين وقد استفادوا منها ـ إن لم يكونوا قد أنشؤوها ـ لأغراض سياسية لا تخفى، فإن إرجاء الحكم على الفاسق والظالم إلى الله يوم القيامة، يعطل الدور السياسي للإنسان المسلم في الدنيا. وقد كان لهذه الفرقة آثار كبيرة في فكر الجمهور المسلم غير المتابع لأهل البيت، لا تزال واضحة إلى يومنا هذا.

(٢)موضع من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام منها وهي قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وقد خرج إليها أبو ذر الغفاري مغاضبا للخليفة عثمان، وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ. عن معجم البلدان.

(٣)يرى البعض من فقهاء الجمهور ـ على الأقل في الزمن السابق ـ أن الربذة، مما يمكن الاحرام منها إلى الحج، فقد ذكر ابن حجر في فتح الباري ج ٣ ص ٣٠٩ قائلا أنه: حكى بن المنذر عن الحسن بن صالح أنه كان يحرم من الربذة وهو قول القاسم بن عبد الرحمن وخصيف الجزري قال بن المنذر وهو أشبه في النظر.. وكذلك ما ذكره

العقيق[1].

فقالت: يا معشر الشيعة تخالفون في كلّ شيء، يُحرم الناس من الربذة وتُحرمون من العقيق. وكذلك تُخالفون في الصلاة على الميّت، يكبّر الناس أربعاً وتكبّرون خمساً، وهي تشهد على الله أنّ التكبير على الميّت أربع.

قالت: فدخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقلتُ له: أصلحك الله، صحبتني امرأة من المرجئة فقالت كذا وكذا، فأخبرته بمقالتها، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

« كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى على الميّت كبّر فتشهّد، ثم كبّر فصلّى على النبيّ ودعا، ثم كبّر واستغفر للمؤمنين

البيهقي في السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٥٥: ويستشعر منه ذلك في حديث عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال اقبلت من البحرين حتى إذا كنت بالربذة سألني ناس من اهل العراق وهم محرمون عن صيد وجدوه على الماء طاف فسألوني عن اشترائه وأكله فأمرتهم ان يشتروه ويأكلوه وهم محرمون ثم قدمت المدينة فكأنه وقع في قلبى شك مما امرتهم فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فقال وما أمرتهم به؟ قال أمرتهم به ان يشتروه ويأكلوه قال لو أمرتهم بغير ذلك لفعلت، أي كأنه توعده.

(١)واد عليه أموال أهل المدينة، على ميلين أو ثلاثة أو ستة، ويسمى مسيل الماء عقيقا، وهي أعقة منها عقيق المدينة وهو الأصغر وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر وفيه بئر عروة، وعقيق أكبر من هذين وهو ببلاد مزينة.. ولعل الاختلاف في المسافة ناظر إلى هذه الثلاثة. عن معجم البلدان.

والمؤمنات، ثم كبّر فدعا للميّت، ثم يكبّر وينصرف. فلما نهاه الله عن الصلاة على المنافقين كبّر وتشهّد، ثم كبّر فصلّى على النبيّ، ثم كبّر فدعا للمؤمنين والمؤمنات، ثم كبّر الرابعة وانصرف ولم يدع للميّت ».

ونستفيد من هذه الرواية[1] أمورا متعددة:

١/ أن دخول النساء على الأئمة عليهم السلام لم يكن نادرا ولا

---

(١)يمكن تصحيح الرواية التي استدل بها أكثر علمائنا في باب كيفية الصلاة على الميت، بل لعلها تكون (أم روايات ذلك الباب) حتى لقد ترقى بعضهم إلى الالتزام بوجوب ما ورد فيها من الأذكار والأدعية، مع أنه (ليس في الصلاة ـ الجنازة ـ دعاء موقت ـ مخصوص ـ)، أقول يمكن تصحيحها بما سلكه عدد من الأعلام في ذلك: بالشهرة أولا حيث أن اشتهارها بين الأصحاب بوجودها في مصنفات الأصحاب كما هو الحال في هذه الرواية حيث نقلها المشايخ الثلاثة في كتبهم، وتبعهم من بعدهم في ذلك.. وأيضا شهرة العمل بها يدخلها تحت عموم (خذ ما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر)، والشهرة الفتوائية وإن كانت محل كلام في حجيتها إلا أن شهرة الرواية عند الأصحاب، والعمل عليها جابر للرواية مهما كانت درجة ضعفها، كما ذكر علماء الأصول. ويمكن تصحيحها ثانيا: بأن الراوي لها هو محمد بن أبي عمير عن محمد بن مهاجر عن أم سلمة، والمشهور على أن ابن أبي عمير من الذين لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة، ومع فرض التسليم بمجهولية أم سلمة، (مع أن ابنها محمد بن مهاجر ثقة، وحفيدها إسماعيل ابنه ثقة كذلك) فإن رواية ابن ابي عمير عنها تصحح روايتها، بل يمكن القول بتوثيقها بها.

مستهجنا، وإنما كانت المرأة لو عرض لها شيء من أمر دينها كانت ترى أنها مخاطبة بقول الله تعالى ﴿...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾[2].

ويخطئ الذين يقومون بتغييب المرأة تغييبا كاملا عن قضايا الدين والمجتمع، بظن أنهم يحافظون بذلك على عفاف المرأة أو حجابها، إذ أن عفاف المرأة وحجابها وصيانتها يعتمد على الوعي، وإلا فإن الحجاب الذي تفرضه التقاليد من غير قناعة، ويلزِم به الوضع الاجتماعي من دون معرفة من الممكن أن لا يصمد فيما لو تغيرت تلك المعطيات.

والطريق إلى الوعي والمعرفة يعني أن تسأل المرأة كما يسأل الرجل عن دينه، وعما يجب عليه، وأن تتجه كما يتجه إلى أهل الذكر، وقد سبق الحديث عن جانب من هذا.

٢/ إن معالجة الإشكالات والشبهات الواردة على الإنسان، كسائر الأمور الأخرى هو فن، يحتاج إلى متخصص فيه، ولا يعني عدم قدرته على الإجابة في نفس الوقت أن مذهبه عاجز أو أن الفكر الذي ينتمي إليه عقيم.

---

(١)سورة النحل:٤٣.

(٢)سورة النساء:٨٣.

وإنما حال هذا الأمر حال غيره، لا بد من عرضه على أهل الذكر، والمعرفة والمتخصصين في هذا الجانب وأخذ الجواب الصحيح منهم. فليس مطلوبا من الإنسان أن يكون متخصصا في الإجابة على الأسئلة في علوم الكيمياء والفيزياء والطب وو.. كذلك ليس واجبا عليه أن يكون متخصصا في الإجابة على العقد والشبهات التي تطرح في الأمور المذهبية والدينية.. نعم لا بد من المعرفة العامة بقضايا العقيدة، عن دليل وبرهان، في حدود ما يجعله معتقدا..

وأما أنه مثلا لماذا يحرم من العقيق ولا يحرم من الربذة، أو لماذا يكبر على الميت خمسا لا أربعا.. وما أشبهه، فإن هذا يطلب من أهل التخصص، وهذا هو الذي فعلته أم سلمة.

٣/ إن ما يخبر عنه أهل البيت عليهم السلام من أحكام، وعقائد لم يكن ناشئا من عند أنفسهم، وإنما هو ما ورثوه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينبئ عن ربه، غاية الأمر أن هذا هو من ذلك القسم من مدينة العلم التي لم يأت باقي المسلمون إلى بابه، ولم يفتحوه بمفتاح الإمامة، فحرموا من هدي رسول الله، وبقوا خارج هذه المدينة.

ولأجل هذا يتعجب المخالفون لأهل البيت من أنه كيف يخالف الشيعة (الذين لا يتبعون إلا منهج المعصومين) كيف يخالف هؤلاء الشيعة سائر المسلمين وعامة الناس؟ وكأنّ قول الناس ـ بما هم ناس وكثرة ـ دليل شرعي!! بينما ينبغي أن يتعجب الناس من عمل أنفسهم وأنهم كيف تركوا عترة النبي وذريته والوارثين لعلمه، وعملوا لأنفسهم فقها جديدا، يعتمد

قياسات واستحسانات وظنون ليست بحجة[1] حتى لو أوصلت ـ وهي لا توصل للواقع ـ. وهذا معنى ما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام مخاطبا بعض فقهاء عصره من غير شيعته قائلا: شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت.

كان من هذه الوالدة الواعية التي هي في طبقة أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وقد روت عن الإمام الصادق كما تقدم، نسل طيب: منهم ولدها محمد بن مهاجر بن عبيد الأزدي الذي روى عنها وقد ترجمه الرجاليون بأنه كوفي ثقة ومن أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، ومنهم ابنه (حفيدها) إسماعيل بن (أبي خالد) محمد بن مهاجر وهو أيضا من أصحاب الصادق عليه السلام وتوفي سنة ١٤٦ هـ، وقد وثقه الرجاليون وذكروا أن له كتاب (القضايا).

---

(١)مفاد روايات كثيرة من الطرفين منها الحديث المشهور في أن القضاة ثلاثة، (وفي بعضها أربعة) منها الذي يقضي بالحق ولا يعلم أنه الحق.

حُبَّى: زوجة الكميت بن زيد الأسدي

كانت موجودة إلى سنة ١٢٦ هـ

كان المجتمع العربي ـ ولا زال في بعض نقاطه ـ يرى في المرأة نقطة الضعف والمشكلة التي سيتورط فيها منذ ولادها وإلى أن تموت!

وكان على أثر ذلك أن تعامل مع النساء بطرق مختلفة تنتهي إلى قضية واحدة هي أنها مشكلة، و(ورطة) سواء ما قامت به بعض القبائل من وأدها قبل الإسلام، أو عزلها وإلغاء دورها، أو إهانة موقعها أو غير ذلك.

وجاء الإسلام بمنطق جديد غير مألوف في ذلك المجتمع، فهو يتحدث عن المرأة الصالحة[1] كما يتحدث عن الرجل الصالح، ويقدمها نموذجا للذين آمنوا رجالا ونساء[2]، ويذكر أعمال نساء

---

(١)﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

(٢) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١)

في الكتاب الكريم[١]، في إلفاتات إلى مواقف طيبة.

وبالإضافة إلى القرآن الكريم فقد أكثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث عن النساء الصالحات، والمؤمنات الفاضلات، فقد أكثر في الحديث عن خديجة بنت خويلد عليها السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام وغيرهما. مبينا كيف أن المرأة الصالحة بهذا المستوى، يمكن أن ترتقي حتى تكون مقياسا لرضا الله وميزانا لحبه، ويكون غضبها علامة على غضبه سبحانه وتعالى[٢].

وبهذا لم تبق في حدود ما أراد لها الفكر المتخلف من أنها مشكلة وأزمة، ونقطة ضعف دائمة.

والقضية وإن كانت على المستوى النظري بهذا الوضوح، إلا أنه من الناحية العملية كان هناك خطان يلحظهما المتأمل في المسيرة التاريخية لمجتمع المسلمين، خط يرى أن المرأة لا تزال نقطة الضعف والأزمة المشكلة، وآخر يرى أن حالها حال شقيقها الرجل، متى ما تمت تربيتها تربية سليمة، وأخذت العلم

---

(١)ذكرهن بخصال: التوبة من حوا ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ والشوق من آسية ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا﴾ والضيافة من سارة (وامرأته قائمة) والعقل من بلقيس ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ والحياء من امرأة موسى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي﴾ والإحسان من خديجة ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلا﴾ والعصمة من فاطمة عليها السلام ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ .. وغيرهن.

(٢) ذكره محب الدين الطبري في ذخائر العقبى فقال: قال رسول الله «يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك و يرضى لرضاك»

والمعرفة، فإنها ستغدو حلا للمشاكل، لا مشكلة، وستصبح معينة في تفريج الأزمات، لا أن تكون أزمة. وهي في هذا تشبه الرجل تماما.

والفوارق التي توجد بينهما، كما أنها تساعد الرجل في كثير من المواطن في إنجاز مسؤوليته فإن نفس تلك الفوارق تعينها بالذات في حل جزء آخر من المشاكل ربما لا يستطيع الرجل حلها.

وخط آخر ظل يرى فيها نفس تلك النظرة السابقة، وربما استفاد من هذه الحالة لكي يعيق حركة الرجال، كما رأينا أن الأمويين عندما جاؤوا للحكم استخدموا أسلوب الضغط على النساء باعتبارهن مشكلة في بعض القبائل، والعشائر لكي يحققوا من وراء ذلك الضغط مآربهم وأهدافهم. فكان أن تم سجن زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي كما تقدم ذكرها[1]..

وربما كان بعض الذين (يشيرون) على الإمام الحسين عليه السلام أن لا يخرج بنسائه إلى كربلاء ناظرين إلى مثل هذا المعنى تبعا لمعرفتهم بخسة الأمويين، وعدم التزامهم الأخلاقي. فـ (نصحوا) الحسين عليه السلام أن يدع نساءه وأطفاله في المدينة أو في مكة، باعتبار أن هؤلاء يشكلون نقطة ضعف ربما استفاد منها الأمويون وضغطوا بها على الحسين.

وقد خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام مذكرا بأن هؤلاء النساء

---

(١) الجزء الأول: آمنة بنت الشريد.

لهن دور عظيم ينتظرهن، وهو إكمال رسالة الثورة حيث لا يستطيع غيرهن ذلك. باعتبار أن الفوارق التي توجد بين الرجل والمرأة تكون لصالح دور المرأة هنا. فمن السهل هنا قتل الرجل لو أرادوا لكن الأمر ـ بحسب الموازين السائدة ـ كان أصعب في قتل المرأة. وحالة المظلومية بالنسبة للرجل أقل إثارة منها بالنسبة للمرأة، وهكذا سائر الفوارق الأخرى أشار الحسين عليه السلام إلى ذلك بأنه «شاء الله أن يراهن سبايا» وبهذه الطريقة يكن قد نصرن الرسالة المحمدية[1].

بالرغم من أن الأمويين أرادوا أن يعيدوا المسألة جذعة، وتبقى المرأة المسلمة في المربع الأول الذي أرادها لها العقل العربي قبل الإسلام، إلا أن النساء المسلمات، والواعين من المؤمنين قد رفضوا ذلك عمليا، بل قلبوا المعادلة حين حولوا ضعف المرأة إلى نقطة قوة، وحياءها إلى صفعة كرامة للحاكمين، وكلماتها إلى سيوف وأسنة.

ها نحن أمام نموذج من تلك النماذج الرائعة، التي سجن زوجها، ولكنها بدل أن تنشغل بلطم وجهها والصراخ على زوجها، ولعن الزمان على مصيبتها، فتتحول إلى نقطة ضعف مركزة، وإلى كابح يعيق أي إنسان عن التفكير في مبدئه لكيلا تصبح زوجته ثكلى، ومصابة!

بدل ذلك فإنها قبلت مهمة من أخطر المهمات لكي ينجو

(١) يراجع كتاب: من قضايا النهضة الحسينية للمؤلف / الجزء الأول: سؤال: ما معنى شاء الله أن يراهن سبايا.

زوجها، وهي بذلك ضربت أروع الأمثلة على الوفاء لزوجها وفداء حياتها لأجل حياته، من جهة، وأيضا ضربت مثالا أعلى في الشجاعة والاقدام حيث ستواجه جدران الزنزانة ومصيرا غير معلوم مع أعداء حاقدين.

حبّى.. زوجة الكميت بن زيد الأسدي.

عاشت تجربة صعبة عندما سجن زوجها الكميت الأسدي بخديعة من خالد بن عبد الله القسري الذي أوغر صدر الحاكم الأموي، عندما اشترى عدة جوارٍ وجعلهن يحفظن قصائد الكميت (الهاشميات) التي كانت في ذلك اليوم أعظم من (جيش). ومما جعلهن يحفظنه قوله:

نفى عن عينك الارق الهجوعا — وهم يمترى منها الدموعا
دخيل في الفواد يهيج سقما — وحزنا كان من جذل منوعا
وتوكاف الدموع على اكتئاب — أحل الدهر موجعه الضلوعا
ترقرق أسجما دررا وسكبا — يشبه سحها غربا هموعا
لفقدان الخضارم من قريش — وخير الشافعين هما شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني — وكان له أبو حسن مطيعا
حطوطا في مسرته ومولى — إلى مرضاة خالقه سريعا
فأصفاه النبي على اختيار — بما أعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم — أبان له الولاية لو أطيعا

ولكـــن الرجـــال تبايعوهـــا ... فلـــم أر مثلـــها حظـــا مبيعـــا
فلـــم ابلـــغ بهـــم لعنـــا ولكـــن ... أســـاء بـــذاك أولهـــم صـــنيعا
فـــصار بـــذاك أقـــربهم لعـــدل ... إلى جور واحفظهـــم مـــضيعا
أضاعوا أمـــر قائـــدهم فـــضلوا ... وأقومهم لدى الحـــدثان ريعـــا
تناســـوا حقـــه وبغـــوا عليـــه ... بـــلا تـــرة وكـــان لهـــم قريعـــا
فقل لـــبنى أميـــة حيـــث حلـــوا ... وإن خفت المهنـــد والقطيعـــا
أجـــاع الله مـــن أشـــبعتموه ... وأشبع مـــن بجـــوركم اجيعـــا
بمرضـــي الـــسياسة هـــاشمي ... يكـــون حيـــا لامتـــه ربيعـــا
وليثا في المـــواطن غـــير نكـــس ... لتقـــويم البريـــة مـــستطيعا
يقـــيم أمورهـــا ويـــذب عنـــها ... ويتـــرك جـــدبها أبـــدا مريعـــا

وصدر أمر الحاكم الأموي هشام بن عبـد الملـك إلى خالـد وهو عامله على العـراق: ابعـث إلي بـرأس الكميـت بـن زيـد الأسدي!!

فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فاخذ وحبس في الحبس.

وكان أبان بن الوليـد عـاملا علـى واسـط وكـان الكميـت صديقه فبعث إليه بكتاب مع غلام على بغل وقال له: أنت حـر إن لحقته والبغلة لك. وكتب إليه: أما بعد فلقد بلغني ما صـرت

إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله ﷻ وأرى لك أن تبعث إلى حُبى (وهي زوجة الكميت وكانت ممن تتشيع أيضا) فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإني أرجو الأمن لك.

فركب الغلام وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكرا وأخبر الكميت بالقصة. فبعث الكميت إلى امرأته فقص عليها القصة وأن عليها لكي تنقذه أن تبقى مكانه بينما يلبس ثيابها ويخرج متنكرا، حتى لا يعرف، وقال: أي بنية عم اعلمي أن الوالي لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفته عليك لما عرضتك له.

فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته، وقالت: أقبل وأدبر ففعل. فقالت: ما أنكرت منك شيئا إلا يبسا في كتفيك أخرج على اسم الله!!

وأخرجت معه جاريتين لها فخرج، وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بديل ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له ومشى الفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناس فمر بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم: رجلٌ ورب الكعبة!! وأمر غلامه فاتبعه، فصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا (يشتمه) أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم!!

وأومى إليه بنعله فولى العبد مدبرا، وأدخله أبو الوضاح منزله ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءك..لا أم لك!! فشق ثوبه ومضى صارخا إلى باب خالد فاخبره.

فأحضر حُبّى فقال لها: يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين؟ لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن!! فاجتمعت بنو أسد وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت فخافهم.

واستطاعت هذه الزوجة الشجاعة أن تنقذ حياة زوجها إلى حينٍ. حيث أنه بعدما هرب من ذلك السجن وعلم أنه مطارد من قِبل الخلافة الأموية استطاع أن يتعامل معهم بنفس منطقهم فاستجار بقبر أحد كبارهم ممن يعز على الخليفة الأموي وأنشد فيه بعض أبيات المدح، والقصائد تقية وحفاظا على حياته(١).

---

(١) العجيب من بعض الأعلام ـ على ما هو عليه من الجلالة ـ عندما لم يتوجه إلى لحن كلام الإمام الباقر عليه السلام فتصوره عاتب الكميت واعترض عليه، بينما كان الإمام في صدد إقرار ما فعله الكميت، بل هو يقرر بذلك قاعدة عامة في تجويز القول بالتقية، فانظر متعجبا إلى ما قاله آية الله ناصر مكارم الشيرازي في كتابه القواعد الفقهية ج ١ ص ٤١٦: تحت عنوان: لا يجوز التقية في فساد الدين:

ومنها ـ ما رواه (الكشي) في رجاله عن درست بن ابى منصور قال كنت عند أبى الحسن موسى عليه السلام وعنده (الكميت بن زيد) فقال للكميت أنت الذي تقول: فالآن صرت إلى أمية ـ والأمور لها مصائر؟! قال: قلت ذلك وما رجعت عن إيماني، وإني لكم لموال ولعدوكم لقال، ولكني قلته على التقية!

قال عليه السلام: أمَا لئن قلت ذلك.. إن التقية تجوز في شرب الخمر!

وهذا يدل على اعتراض الإمام عليه السلام على الكميت في شعره الذى معناه «الآن رجعت إلى أمية وأمورها الآن إلى ترجع» فانه مدح بالغ

لهم ودليل على رجوعه إليهم بعد ان كان معروفا بالموالاة لأئمة أهل البيت عليهم السلام. ولكن الكميت الناصر لأهل البيت عليهم السلام بقلبه وبلسانه اعتذر بأنه انما قالها بلسانه تقية وحفظا لظواهر الأمور، وأما الإمام عليه السلام لم يقنع بعذره فأجابه بأن باب التقية لو كان واسعا بهذه الوسعة لجاز في كل شيء تقية حتى في شرب الخمر، مع انه لا يجوز.

فهو دليل على عدم جواز التقية بمثل هذا المدح البالغ لبني أمية الجائرة أو إظهار المحبة لهم، وهذا من مثل الكميت الشاعر البارع المشهور بحبه للأئمة عليهم السلام قد يوجب تقوية لدعائم الكفر والضلال وتأييدا لبقية أحزاب الجاهلية وأشياعهم، فلا يجوز له، ولو جاز انما جاز في شرائط و وظروف بالغة الخطورة لا في مثل ما قال الكميت فيه، فلذا واجهه عليه السلام بالعتاب.

أقول: الظاهر من الحديث هو خلاف ما ذهب إليه الشيخ الجليل، فليس ذلك عتابا وإنما هو تأييد وإمضاء لما ذكره، ولا أظن أنه يلتزم بأنه لو كان التقية بحد الحفاظ على النفس في شرب الخمر، لا أظنه يلتزم بعدم جواز شرب الخمر لذلك.. نعم ورد عنهم عليهم السلام أنهم ـ هم ـ لا يتقون في ثلاث من جملتها شرب الخمر، وقد حملها علماؤنا على محامل شتى منها أن هذا حكم خاص لهم ولذا ذكر زرارة في ذيل أحد الأحاديث أنه: ولم يقل يجب عليكم أن لا تتقوا فيهن أحدا، ومنها أنه لا يُقبل منهم باعتبار أن مذهبهم في تحريمه معروف، فليس موضعا للتقية.. وغير ذلك، وأما ما ذكر في تعليقه على الحديث المذكور فلا يمكن المساعدة عليه ولا الركون إليه. كيف وقد جازت التقية لمثل عمار حتى أظهر كلمة الكفر، وهي أعظم من شرب الخمر!! بل ورد في روايات أخرى أن التقية في كل ضرورة.

هذا بغض النظر عما في الرواية التي تم الاستدلال بها، فإن درست بن أبي منصور، يقول كنا عند أبي الحسن موسى وكان عنده الكميت

إلى أن دارت الدائرة على (خالد القسري) بعدما عاث ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأرض وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾[1].
وبقيت حبى زوجة الكميت في سجن خالد القسري، إلى أن استطاع الكميت باستعماله للتقية أن يستميل جانب هشام بن عبد الملك، بإنشاده بعض القصائد عنده، ويمحو بجميل حديثه ما كان في قلب هشام عليه، فـ (عفا) عنه، وحباه، فطلب منه الكميت أن لا يجعل لخالد القسري عليه إمرة ولا ولاية ما دام حيا، ففعل، وكتب بالتالي إليه أن يطلق زوجته من أسرها. فخرجت مرفوعة الهامة ثابتة المنهج.

كانت العادة أن يفدي الرجال النساءَ ويدافعون عنهن. ونحن أمام نموذج متميز، فقد تبدل موقع نون النسوة، ليكون في موقع

فقال للكميت كذا.. هذا مع أن الكميت بن زيد الأسدي هو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ولم يدرك الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، إذ مات مقتولا بيد أنصار خالد بن عبد الله القسري سنة (١٢٩ هـ) كما اشار إليه غير واحد من المؤرخين ونص ابن معصوم في الدرجات الرفيعة على أنه استشهد سنة ١٢٦ هـ، وذكره الأردبيلي في جامع الرواة الجزء الثاني قائلا: مات في حياة أبي عبد الله الصادق عليه السلام.. فعلى أي تقدير هو لم يدرك الإمام موسى بن جعفر، ولذا أشار آية الله الخوئي قدس سره في معجم رجال الحديث بعد أن نقل الرواية المذكورة إلى أنه قد مات في حياة الصادق عليه السلام قائلا، بأنه لو صحت الرواية ففيها تحريف لا محالة.
١)سورة فاطر :٤٣.

الفعل لا الانفعال. إمرأة مـن صـنف جديـد مـن النـساء الـلاتي يدافعن عن الرجال، ويحمين الأزواج ويفدين بـالنفس في سـبيل المبادئ.

فنعمت الزوجة البطلة، ونعم الزوج المجاهد.

خديجة بنت عمر بن علي السجاد عليها السلام

الراوية الصابرة

للحديث عن شخصية لا بد من الإشارة إلى الوضع الاجتماعي الذي عايشته تلك الشخصية، وبالذات عندما يكون الحديث عن شخصية نسائية، فإن الظروف المحيطة بها (من كونها زوجة تارة، وأمّاً أخرى) تفرض عليها نمطا من الحياة ربما لم يكن بمقدورها معه الاختيار. فلو تصورنا امرأة كانت زوجة لأحد الثائرين أو المطلوبين للسلطة فإنها ليس بإمكانها أن تغير ذلك، ولا أن تغير من وضعها في هذه المعادلة إذ ليس الأمر باختيارها عادة، ولكن ما هو تحت اختيارها كيفية تعاملها مع ذلك الوضع الذي وجدت نفسها فيه، هل تندب حظها وتكون معيقا وكابحا لزوجها أو أنها تكون بلسما لجراحه، ودافعا لنشاطه، وسترا عليه؟ وبهذا تتمايز النساء فتتفوق بعضهن وتتصاعد بينما تهوي أخريات.

بل إن هذا الأمر صادق في الرجال وإن كان بنسبة أدنى، فلا يوجد الفرد في أسرة باختياره، ولا ينتسب إليها بقرار، وما هو واقع تحت اختياره هو موقفه فيها، هل يكون مثالا للصلاح والإصلاح أو يتخذ موقفا مقابلا لذلك.

هلم.. عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، لنرى الأسرة التي

وجدت نفسها خديجة فيها.. والدها، زوجها..

والدها: هو عمر[١] بن علي بن الحسين (السجاد زين

(١) ربما يحاول البعض الاستفادة من كون بعض الأئمة قد سموا أبناءهم بأبي بكر أو عمر أو عثمان، أن العلاقة بين خط أهل البيت عليهم السلام وبين خط الخلافة كانت علاقة حميمة ولم يشبها ما يكدر صفوها، وأن ما يقوله الشيعة من وجود حالة من الفتور أو المعارضة، غير صحيح وإلا لما كان الإمام علي عليه السلام يسمي بعض أبنائه بعمر أو أبي بكر أو عثمان، وهكذا الحال بالنسبة إلى زين العابدين عليه السلام..
وفي الواقع هذا يعتبر تبسيطا شديدا للغاية، وتسطيحا ساذجا لمسألة العلاقة بين الخطين.. ويمكن النقض عليه أولا بعكس ذلك، فهل نفهم من عدم تسمية آل أبي قحافة لأي واحد منهم باسم علي أو الحسن أو الحسين أنهم كانوا أعداء أهل البيت؟ ومثل ذلك آل أبي الخطاب في عدم تسمية أي من أبنائهم أو أحفادهم باسم علي أو الحسن أو الحسين، هل نفهم من ذلك أن علاقتهم كانت سيئة، لعدم التسمية؟ وهكذا الحال في العائلة الأموية التي يرجع إليها الخليفة الثالث؟؟ فإذا كانت التسمية تدل على الانسجام من قبل أهل البيت مع خط الخلافة فلا بد أن يلتزموا أن عدم التسمية أيضا يدل على عدم الانسجام من قبل خط الخلفاء مع خط أهل البيت..
يضاف إلى ذلك أن المسألة ليست مسألة أسماء وظواهر، وإنما مسألة جوهر وواقع، فإن كان هناك اختلاف في الخط، والتوجهات، وكان هناك تظلم من قبل أهل البيت تجاه مخالفيهم في خط الخلافة أعلن عنه أمير المؤمنين عليه السلام مرارا وأكده أبناؤه الأئمة المعصومون في مناسبات مختلفة ومناظرات متعددة، فما ينفع أن يسمي هذا الطرف أبناءه باسم ذاك أو عكس المسألة؟.ولقد أشرنا إلى أن الخط التقليدي

العابدين).. الملقب بعمر الأشرف[١]، وقد كان «.. فاضلا جليلا، وولي صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام وكان ورعا سخيا، وقد روى داود بن القاسم عن الحسين بن زيد قال: رأيت عمي عمر بن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ يشترط على من ابتاع صدقات علي ـ عليه السلام ـ أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة، ولا يمنع من دخله أن يأكل منه»[٢].

وروى أبو الجارود زياد بن المنذر: «قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام: أي إخوتك أحب اليك؟ فقال: أما عبد الله فيدي التى أبطش بها ـ وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه ـ وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا..».. فهذا هو والد خديجة: رجل ورع وسخي وآية سخائه أنه كان يشترط على من تولى صدقات

غير الشيعي في الأمة يحتاج إلى إجابة على ما حدث في عصور الإسلام الأولى من منازعات ومشاكل بين الأطراف الأخرى، والتي لا تنسجم مع نظرية عدالة الصحابة، و لا تفسير القوم لما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أن عمدوا إلى نفي وجود الاختلافات، واصبحوا يتمسكون لنفيها بمثل هذه الأمور التي تنفع لو نفعت القشة غريقا!!
هذا على أن تلك الأسماء لم تصبح ملكا لمن يتسمى بها، حتى (يستأذنه) من يأتي من بعده في التسمية بها.

(١) تمييزا له عن عم أبيه عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب حيث حاز الأشرف على شرف انتسابه لعلي وفاطمة عليهما السلام، بينما كان شرف عم أبيه من (طرف واحد) وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الارشاد للشيخ المفيد

أمير المؤمنين عليه السلام أن يجعل في حائطها ثلمات حتى يستطيع الجائع والمحتاج أن يأكل، وأنه لا يمنعهم من ذلك. وفي نفس الوقت هو (بصر) الإمام الباقر عليه السلام ويكفي هذا التعبير في بيان عظمة المعبرّ عنه.

زوجها: الحسين بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين (زين العابدين): كان في بيت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام منذ حداثة سنه وبعدما استشهد والده، وقد استفاد من كونه في بيت الإمام علما كثيرا يرى المتتبع البعض منه فيما روي عنه في أبواب مختلفة من الفقه. إضافة إلى غير الفقه.

مع تصاعد الوضع السياسي أيام أبي جعفر المنصور العباسي الذي كان يتبع سياسة الاستئصال للقوة العلوية، بل لكل قوة غير قوته، كان أن انطلقت ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، والتي كانت بمثابة الاستفتاء السلبي على الحكومة العباسية إذ اشترك فيها الفقهاء والعلماء حتى من غير المصنفين فقهيا على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبنفس القوة والزخم الذي كانت عليه تلك الثورة، كانت مواجهتها من قبل العباسيين، فأجهضت بعنف شديد. استشهد قائد الثورة محمد، وأخوه إبراهيم، وعدد غير قليل من أنصارهما من الهاشميين وغيرهم. وبقي على قيد الحياة (بقية السيف) متخفين، مطاردين.

وكان ممن اختفى الحسين بن زيد هذا، وقيل إنه اختفى في بيت الإمام الصادق عليه السلام فترة طويلة من الزمان، وأن الإمام قد

زوجه، وكانت زوجته خديجة بنت عمر الأشرف بن علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

الصابرة المصبِّرة

أن تعيش امرأة مع زوجها المطارَد، والمهدَّد بالاعتقال، والذي يحمل جراحا نفسية دامية، من الماضي، فهذا يحتاج إلى نمط من النساء صابر ومصبر.. قوي ويصنع القوة لدى الطرف الآخر.

فالحسين زوجها قد ظل مدة طويلة من الزمان متخفيا، وبعيدا عن الأنظار، ثم لما خف الطلب عنه وعن أمثاله ظل في حالة من الحذر بحيث حتى وهو يخرج إلى الناس يبقى على مسافة منهم، فلا يدخل عليه إلا من يثق به. ولا يثق إلا بمن يعرفه.

وفي تلك الفترة كانت الأحداث التي مرت عليه بدء من شهادة والده وإخوته وأقاربه، واختفاء بعضهم الآخر[1]، تخلق في

(١) لمعرفة شيء عن المعاناة التي ألمت بهذه العترة الطيبة، وكيف أنها صارت غرضا للحاكمين ترمى بعنفهم قتلا وسجنا وتشريد، ننقل لك ما ذكره المؤرخون عن اختفاء عيسى بن زيد، أخ الحسين المذكور هنا.. فقد نقل يحيى بن الحسين بن زيد، ابن خديجة صاحبة الترجمة أعلاه ما يلي: كما ذكره الإصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين ص ٢٧٠:

قال: قال يحيى بن الحسين بن زيد: قلت لابي: يا أبة، إني أشتهي أن أرى عمي عيسى بن زيد، فانه بقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من

أشياخه، فدافعني عن ذلك مدة وقال: إن هذا أمر يثقل عليه، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهية للقائك إياه فتزعجه، فلم أزل به أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك فجهزني إلى الكوفة وقال لي: إذا صرت إليها فاسأل عن دور بني حي، فإذا دللت عليها فاقصدها في السكة الفلانية، وسترى في وسط السكة دارا لها باب صفته كذا وكذا فاعرفه واجلس بعيدا منها في أول السكة، فانه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه قد أثر السجود في جبهته عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل لا يضع قدما ولا يرفعها إلا ذكر الله ـ عز وجل ـ ودموعه تنحدر فقم وسلم عليه وعانقه، فانه سيذعر منك كما يذعر الوحش، فعرفه نفسك وانتسب له، فانه يسكن إليك ويحدثك طويلا، ويسألك عنا جميعا ويخبرك بشأنه ولا يضجر بجلوسك معه، ولا تطل عليه وودعه، فإنه سوف يستعفيك من العودة إليه فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه توارى عنك واستوحش منك وانتقل عن موضعه وعليه في ذلك مشقة.

فقلت: أفعل كما أمرتني. ثم جهزني إلى الكوفة وودعته وخرجت، فلما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذ أنا به قد أقبل يسوق الجمل وهو كما وصف لي أبي لا يرفع قدما ولا يضعها إلا حرك شفتيه بذكر الله ودموعه ترقرق في عينيه وتذرف أحيانا، فقمت فعانقته فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني إليه وبكى حتى قلت قد جاءت نفسه، ثم اناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن أهله رجلا رجلا، وامرأة امرأة، وصبيا صبيا، وأنا اشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي على هذا الجمل

داخله أخاديد للحزن لا تجف ينابيعها، وكان يحتاج إلى من يمسح عنه درن ذلك الحزن، ووعثاء ذلك الهم وهذا ما كانت عليه خديجة زوجته، فهي تراه كثير الحزن حتى عرف بـ (ذي الدمعة) كلقب مميز، وقد اختلط خوفه من الله وبكاؤه له، مع حزنه على أهله (أبيه وإخوته وسائر الشهداء) في مزيج عجيب. فكانت بمثابة البلسم الشافي له.. مع أن الألم أحيانا كان أقوى من المداراة ومن المواساة.

يقول يحيى ابنها، قالت أمي لأبي: ما أكثر بكاءك؟!

الماء، فأصرف ما اكتسب، يعني من أجرة الجمل إلى صاحبه وأتقوت باقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء فأخرج إلى البرية، يعني بظهر الكوفة، فألتقط ما يرمي الناس به من البقول فأتقوته. وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته، وهو لا يعلم من أنا إلى وقتي هذا فولدت مني بنتا، فنشأت وبلغت، وهي أيضا لا تعرفني، ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء ـ لرجل من جيراننا يسقي الماء ـ فانه أيسر منا وقد خطبها، وألحت علي فلم اقدر على إخبارها بأن ذلك غير جائز، ولا هو بكفء لها (أقول: ربما كان غير متدين أو ليس ذا خلق) فيشيع خبري، فجعلت تلح علي فلم أزل استكفى الله أمرها حتى ماتت بعد أيام فما أجدني آسى على شيء من الدنيا أساي على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: ثم أقسم علي أن أنصرف ولا أعود إليه وودعني. فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرته فيه لأراه فلم أره، وكان آخر عهدي به.

فقال: وهل ترك السهمان والنار سرورا يمنعني من البكاء؟ ـ يعني السهمين الذين قتل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى.

المحدثة الراوية:

إلى جانب حياتها الصعبة تلك في ظل زوج مطارد، فإننا نلتقي بصورة أخرى من حياة السيدة خديجة بنت عمر الأشرف وهي صورة الراوية المحدثة. فقد استفادت من الإمامين الباقر و الصادق عليه السلام علما جما، ويوجد لها روايات في كتب الحديث والفقه، فقد روى عنها عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري قال:

أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام نعزيها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبد الله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريبا من النساء، فعزيناهم، ثم أقبلنا عليه فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الراثية: قولي فقالت:

اعدد رسول الله واعدد بعده   أسد الإله وثالثا عباسا

واعدد علي الخير واعدد جعفرا   واعدد عقيلا بعده الرواسا

فقال: أحسنت وأطربتني، زيديني، فاندفعت تقول:

فمنا إمام المتقين محمد   وحمزة منا والمهذب جعفر

ومنا علي صهره وابن عمه   وفارسه ذاك الإمام المطهر

فأقمنا عندها حتى كاد الليل أن يجيء، ثم قالت خديجة: سمعت عمي محمد بن علي صلوات الله عليه وهو يقول: إنما

تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها ولا ينبغي لها أن تقول هجرا، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح[1].

ثم غدوا عليها في يوم آخر فأخذت تحدثهم عن ما جرى على آل الحسن من قبل العباسيين وموقف الإمام الصادق عليه السلام من ذلك، وحزنه عليهم:

فحدثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لما أوقفوا عند باب المسجد ـ الباب الذي يقال له باب جبرئيل ـ أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام وعامة ردائه مطروح بالأرض، ثم أطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار ـ ثلاثا ـ ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصا ولكني غلبت وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده وعامة ردائه يجره في الأرض، ثم دخل بيته فحُم عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيه الليل والنهار حتى خفنا عليه..

---

(١) الكافي ١ ص ٣٥٨

أم سلمة بنت محمد بن علي الباقر عليها السلام

يضعف الإنسان أحيانا ـ مع قدراته المختلفة ـ عن مواجهة التحديات الحياتية، وتقسو عليه ظروفه فيغدو عاجزا عن فعل شيء تجاهها.. فتارة هو في مواجهة سلطة سياسية ظالمة لا تعرف للرحمة معنى، ولا للعدل مصداقا، فتقوم بتدمير حياته أو حياة الأقربين منه، اعتقالا وتعذيبا، ونفيا وتشريدا، ومصادرة أموال وأملاك.. وهكذا يرى الإنسان نفسه وحيدا، لا يستطيع فعل شيء سوى تجرع الغصص غصة بعد أخرى.

وتارة أخرى يصاب ـ أو من يعنيه أمره ـ بمرض عضال، ينتظر معه الموت في كل لحظة، بل قد يكون الموت أحيانا أهون عليه منه. ويظل هكذا سنوات ترفعه موجة الأمل وتسحقه أثقال الواقع. محطة للتجارب الطبية، ومشتلا للأدوية المختلفة أو المتخالفة، يرى عمره قد انتهى في السعي للدواء من مكان إلى آخر، ومن طبيب إلى غيره.

وثالثة تسد أبواب الرزق أمامه، فإذا طرق بابا لم يسمع غير رجع الصدى والوحشة، ويمنعه الحياء أن يطلب من غيره، فيبقى هو وأمثاله ممن ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾[1]. وقد يكون تحت رعايته

(١)سورة البقرة: ٢٧٣

عدد من الأولاد والبنات، الذين يتوق لكي يصنع لهم حياة فيها الراحة والرفاه، فلا يرى منهم إلا نظرة الترقب والأسى لأنه لا يجد لهم، ولا هم يستطيعون سبيلا غير ذلك.

ورابعة.. تحصل أزمة في داخل أسرته، كأن يكون الولد مضطهَدا، أو الزوجة مخدوعة، أو الزوج.. وهكذا تكر سبحة المعاناة الإنسانية، وتتعاظم صور الألم.

فما هو المخرج؟

يسلك الناس عدة طرق في التخلص من الواقع الذي يعيشون فيه معاناتهم وألمهم:

ـ فالبعض يسلك طريق الهروب: فيتخلص من المشكلة بالتخلص من حياته ويلجأ إلى المحذور الأعظم وهو الانتحار، وقتل الذات. حينما ينهار عن مواجهة المشكلة والتفكير في حلولها يعلن هزيمته بأن ينتحر[1].. في صورة هي أسوأ صور

---

(١) بالرغم من أن الإحصائيات حول حالات الانتحار مختلفة من حيث العدد، إلا أنها تشير ـ مجتمعة ـ إلى تزايد هذه المشكلة وتعاظمها في مختلف الدول.فقد ذكرت التقارير أن أعداد الأشخاص المقبلين على الانتحار على مستوى العالم تعتبر مذهلة، حيث يقدم ١٠ـ٢٠ مليون شخص على الانتحار سنويا يفلح منهم مليون في محاولاتهم. وقد زادت نسب محاولات الانتحار الناجحة في الخمسة وأربعين عاما الماضية بنسبة ٦٠٪ سواء في الدول المتقدمة أو النامية.
وأما في التفاصيل فقد تجاوزت حالات الانتحار عام ١٩٩٤ (٣١) ألف حالة في أمريكا بينما سجلت حالات الانتحار في اليابان ارتفاعا

الضعف والهزيمة، وأشد الذنوب والكبائر. إذ أنها تعبر عن فقدان الإيمان بالله والتصرف العدواني في إزهاق نفس محترمة.

أو أنه يهرب من المشكلة بالهروب مـن الواقـع، والعـيش في الوهم ليعود إلى المربع الأول الذي هرب منـه فيرتطـم بالمـشكلة

قياسيا للعام الثاني على التوالي، حيث بلغعدد المنتحرين في نهاية مارس/آذار الماضي / أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف شخصوقد أرجع حوالي نصف حالات الانتحار لمشكلات صحيةويقول تقرير للوكالة القومية للشرطة إن عدد المنتحرين بسبب المصاعب الاقتصادية ارتفع بنسبة أحد عشر في المئة. وفي ألمانيا قال بيان صادر عن الدائرة الاتحادية في مدينة فيسبادن الالمانية أن عدد حالات الانتحار في ألمانيا بلغ العام ٢٠٠٠م أكثر من ١١ ألف شخص.

وأما في استراليا فبحسب أرقام حكومية فإن حالات الانتحار بين الشباب الأسترالي من الذكور تضاعفت تقريبا منذ عام ١٩٧٥، وهناك واحد من بين كل خمسة شبان يعاني من الاكتئاب، كما أن واحدة من بين كل أربع حالات وفاة بين الشباب الأسترالي يكون سببها الانتحار.

وأما في الدول العربية فلا توجد في الغالب إحصاءات عن هذا الجانب ولكن بعض التقارير تقول أنه قد ارتفع عدد حالات الانتحار في اليمن خلال العامينالمنصرمين إلى حوالي ٥١٩ حالة، منها ٣١٦ حالة انتحار والشروع فيه خلال الفترة من ١يناير، وحتى نهاية نوفمبر من عام ٢٠٠٢م فقط، حسبما ذكرت تقارير أمنية رسمية مؤخراً،ويعني ذلك أنها زادت عن سنة ٢٠٠٠م بنسبة ٥٢ ٪. وسجل أكثر من ١٠٠ حالة انتحار في لبنان خلال عام. وفي الكويت حوالي ٥١ حالة انتحار..

بصورة أشد قسوة. وهذا ما يلجأ إليه البعض من الخاطئين، في التوجه إلى المسكرات والخمور، أو الإدمان على المخدرات، فينفق ماله في إتلاف عقله، ويحصل على تلف المال والقدرة العقلية وتصوّر ـ عزيزي القارئ ـ امرأ لا مال عنده ولا عقل لديه!!

إن الحياة بتعقيداتها المختلفة لو استخدم فيها الإنسان كامل عقله وحكمته، وما أنعم الله عليه به من مال، لو استخدم كل ذلك (قد ولاحظ أنها للتقليل)، قد يعيش سعيدا منعما، فكيف لو أتلف أمواله، ودمر قدرته العقلية.. أتراه يستطيع العيش بسعادة؟

لكن البعض يختار هذا الطريق السيئ ويتخبط مدة من الزمان في أوهام الهروب التي تزيد من مشاكل الواقع والحضور، والبعض ـ وما أكثرهم ـ ينتهي بهم الأمر إلى إنهاء حياتهم انتحارا ويكون بذلك قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخرة ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1].

ـ وقسم من أهل المعاناة يلجأ إلى القوة المعنوية، والقدرة الروحية لكي يحل بذلك معاناته.. لكنه يخطئ الطريق الموصل إليها، فيلجأ إلى أهل السحر والشعوذة، ويطلب حل مشكلته ممن لم يستطيعوا حل مشاكلهم، أو يتمنى صحة بدنه ممن يتمرغون في وعثاء العلة. والغنى ممن هو في الفقر والحاجة.

ويقوم هؤلاء باستغلال تلك الحالات من الحاجة الإنسانية،

---

(١)سورة الحج: ١١

والضعف البشري، فيكونون عونا للمشكلة على صاحب المشكلة. ويحمّلون الفقير مصاريف كثيرة لوهم مؤقت، ويطلبون من المريض ما يطلبون لتحصيل عافية لن يأتي منها غير الوهم والتعب.

وللأسف فإنه بالرغم من التجارب المرة التي انتهت إلى نتائج أشبه بالكارثة حيث الاستغلال الجنسي للنساء، وحوادث الاغتصاب، وخسارة الأموال وهي في بعض الحالات ـ محصول العمر ـ.. إلا أنه مع ذلك فإن إقبال الكثير من النساء والرجال على هذا الطريق يشهد تزايدا ونموا.. والغريب أنه لا يقتصر على ذوي المستويات الفكرية والثقافية الواطئة بل يشمل بعض الطبقات المتعلمة وذوي الكفاءات العلمية!!

ـ وهناك الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يتبعه الإنسان فيما إذا أصيب بمشكلة أو ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وقُدر عليه رزقه، أو لم تستجب أعضاء بدنه لحاجاته.. رفع كفيه إلى السماء مخاطبا ربه حيث لا حاجب ولا حاجز يحجزه عنه، واتصل به في ما هو اقصر شيء مسافة بين الداعي وبين من هو أقرب إليه من حبل الوريد، وتضرع إليه كما يعلمنا أهل البيت عليهم السلام:

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون، ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون، ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون، يا أنس كل مستوحش غريب، ويا فرج كل مكروب كئيب ويا غوث كل مخذول فريد، ويا عضد كل محتاج طريد. أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق

في نعمك سهما، وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه، وأنت الذي تسعى رحمته أمام غضبه، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه وأنت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه وأنت الذي لا يرغب في جزاء من أعطاه، وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه. وأنا يا إلهي عبدك الذي أمرته بالدعاء، فقال: لبيك وسعديك ها أنا ذا يا رب مطروح بين يديك، أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره وأنا الذي أفنت الذنوب عمره، وأنا الذي بجهله عصاك، ولم تكن أهلا منه لذاك. هل أنت يا إلهي راحم من دعاك فأبلغ في الدعاء؟ أم أنت غافر لمن بكاك فأسرع في البكاء؟ أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه تذللا؟ أم أنت مغن من شكا إليك فقره توكلا؟ إلهي لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك، ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك. إلهي فصل على محمد وآله، ولا تعرض عني وقد أقبلت عليك، ولا تحرمني وقد رغبت إليك، ولا تجبهني بالرد وقد انتصبت بين يديك، أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة، فصل على محمد وآله وارحمني، وأنت الذي سميت نفسك بالعفو فاعف عني[1].

هذا الطريق هو الذي يسلكه المؤمنون، وسلكته أم سلمة بنت الإمام الباقر عليه السلام عندما مرض ابنها واستنقذته من الموت، بدعائها لمالك الحياة والموت.

تزوجها محمد[2] (الأرقط) بن عبد الله (الباهر) ابن

(١) الصحيفة السجادية / الإمام زين العابدين عليه السلام.

(٢) الكلام في محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين المعروف بالأرقط

بين الرجاليين في عدة اتجاهات: فقسم يرى كونه إماميا ومن أصحاب الصادق لكنه مجهول الحال فليس له توثيق، وقسم آخر يظهر منه الطعن عليه وسبب ذلك ما نقل من أنه بصق في وجه الإمام الصادق فدعا عليه فصار وجهه مرقطا ومجدورا، كما نقل أبو نصر البخاري في كتابه سر السلسلة العلوية، ولعله أول من ذكر هذا القول والغريب أنه يقول أبو نصر هذا أنه (ولد محمد الباقر أربعة بنين وبنتين درجوا كلهم ـ أي ماتوا صغارا ـ إلا أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق) مع أن إطباق المؤرخين والنسابة على أن أم سلمة التي نترجمها هي من أبناء الباقر وكانت باقية ولها ذكر كما ترى، وتزوجت من محمد الأرقط، ولها منه أبناء.. فكيف يجتمع هذا القول مع قوله أن أولاد الباقر عليه السلام قد ماتوا كلهم صغارا إلا الصادق؟ ولا نعلم من أين أتى برواية أن محمد الأرقط قد أساء الأدب مع الإمام الصادق.. مع أن الناظر إلى الروايات الواردة في كتب أهل البيت عليهم السلام تشير إلى أنه كان مع الإمام مما يؤيد القول بأنه كان إماميا حسن الحال فمن ذلك:

١ـ تزويجه بأخت الإمام الصادق عليه السلام ..

٢ـ ومنها: روايته عن الإمام الصادق □ عددا من الروايات: مثلما نقله عنه في الوسائل ج ١٦: عن محمد بن عبد الله الارقط، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: من ارتكب أحدا بظلم بعث الله من ظلمه مثله أو على ولده أو على عقبه من بعده.

وعن محمد بن الارقط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قال لي: تنزل الكوفة؟ فقلت: نعم، فقال: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم أحد، قال: فأنت إذا لا ترى القاتل إلا من قتل، أو من ولي القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فأي رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله بين أظهرهم،

ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، وإنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين.

٣ـ ومن ذلك أيضا انه كان في وقت الخلاف الذي افتعل بين الحسنيين (عبد الله بن الحسن) والحسينيين ممثلا في الإمام الصادق عليه السلام (وقد تحدثنا عن رؤيتنا فيه في موضع آخر من هذا الكتاب) كان محمد بن عبد الله ابن علي هذا في صف الإمام الصادق وربما ناقش الحسنيين في أفكارهم، واحتج عليهم، وتعلم من الصادق عليه السلام كيفية الاحتجاج، بل ربما احتج الإمام الصادق باسم محمد بن عبد الله بن علي هذا لكي يبطل كون (المهدوية) بمجرد التشابه الاسمي، فقد نقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٦٢ ص ٤٠ عن بصاير الدرجات :

محمد بن الحسين عن البزنطي عن حماد بن عثمان عن علي بن سعيد قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالسا وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبدربه فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول: لنا في هذا الامر ما ليس لغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علي من لم يكن إماما ويقول: إنه ليس عندنا علم وصدق، والله ما عنده علم، ولكن والله وأهوى بيده إلى صدره: ـ إن عندنا سلاح رسول الله عليه السلام وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله وإنه لاملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي عليه السلام بيده، والجفر وما يدرون ما هو؟ مسك شاة أو مسك بعير. ثم أقبل إلينا وقال: أبشروا أما ترضون أنكم تجيئون يوم القيامة آخذين بحجزة علي وعلى آخذ بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

وفي رواية أخرى في البحار أن الذي تعجب من عبد الله بن الحسن

وكلامه هو محمد بن عبد الله الأرقط:

فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن أنه يهزأ ويقول: هذا في جفركم الذي تدعون؟ فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام صدق، ما هو بامام ولا كان أبوه إماما، يزعم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماما، ويردد ذلك، وأما قوله: في الجفر، فانما هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله ..

وقد علم الإمام بعضهم الاحتجاج حتى باسم محمد بن عبد الله بن علي، الأمر الذي كان عبد الله بن الحسن يستفيد فيه من تشابه اسم ابنه (محمد بن عبد الله) لإثبات أنه المهدي.. ففي البحار عن منصور بن حازم قلت للصادق: صحبني رجل من المعتزلة، قال: فيما كان يقول؟ قلت: كان يزعم محمد بن عبد الله بن الحسن يرجى هو القائم، والدليل على ذلك أن اسمه اسم النبي واسم أبيه اسم أبي النبي فقلت له في الجواب: إن كنت تأخذ بالأسماء فهو ذا في ولد الحسين محمد بن عبد الله ابن علي فقال لي: إن هذا ابن أمة يعني محمد بن عبد الله بن علي وهذا ابن مهيرة يعني محمد بن عبد الله بن الحسن، بن الحسن، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: فما رددت عليه؟ قلت: ما كان عندي شيء أراد عليه فقال: لو تعلمون أنه ابن ستة (أمة) يعني القائم عليه السلام.

٤ـ ما يظهر منه أنه كان شديد الإيمان بكلام الإمام الصادق عليه السلام إلى حد أنه يأمر غيره بترك التوسل بالأسباب الاعتيادية التي يتوسل بها عامة الناس، وأن يعتمد على ما ذكره الإمام في قضاء حوائجه.. وهذا لا يكون إلا لمن يعتقد اعتقادا راسخا بكلام الإمام، ويسلم تسليما نهائيا: فانظر إلى هذه الرواية وتأمل فيها: كما نقلها الشيخ الطوسي

في الأمالي ص ٥٨٤ بسنده عن:
محمد بن عجلان، قال: أصابتني فاقة شديدة ولا صديق لمضيق، ولزمني دين ثقيل وغريم يلح باقتضائه، فتوجهت نحو دار الحسن بن زيد، وهو يومئذ أمير المدينة لمعرفة كانت بيني وبينه، وشعر بذلك من حالي محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، وكان بيني وبينه قديم معرفة، فلقيني في الطريق فأخذ بيدي وقال لي: قد بلغني ما أنت بسبيله، فمن تؤمل لكشف ما نزل بك؟ قلت: الحسن ابن زيد. فقال: إذن لا تقضى حاجتك ولا تسعف بطلبتك، فعليك بمن يقدر على ذلك، وهو أجود الأجودين، فالتمس ما تؤمله من قبله، فإني سمعت ابن عمي جعفر بن محمد يحدث عن أبيه عن جده، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه إليه. وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالأياس، ولا كسوته ثوب المذلة في الناس، ولأبعدنه من فرجي وفضلي، أيؤمل عبدي في الشدائد غيري، أو يرجو سواي! وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، ألم يعلم أنه ما أوهنته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري، فما لي أراه بأمله معرضا عني، قد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني، فأعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري! وأنا الله ابتدئ بالعطية قبل المسألة، أفأسأل فلا أجيب؟ كلا أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس الدنيا والآخرة بيدي، فلو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعا فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه ؟ فيا بؤس لمن عصاني ولم يراقبني. فقلت: يا بن رسول الله، أعد علي هذا الحديث ، فأعاده ثلاثا فقلت: لا والله لا سألت أحدا بعد هذا حاجة، فما لبثت أن جاءني برزق وفضل من عنده.

السجادعليه السلام وهي ابنة عمه، وولد له منها إسماعيل.

مرض إسماعيل هذا مرضا شديدا يئسوا معه من حياته حتى لقد كان بنو هاشم يستعدون لجنازته، فأرسلت أمه إلى أخيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهي في حالة يرثى لها، وجاءها الإمام عليه السلام فرآها في حالة نفسية سيئة من الحزن والأسى، فوجهها إلى ما ينبغي فعله في هذه الحال فقال:

ضمي عليك ثيابك ثم ارقي فوق البيت ثم اكشفي قناعك

ولهذا فإننا نعتقد أن ما ذكره أبو نصر البخاري لا يمكن المساعدة عليه، بل نراه خاطئا، وأبو نصر وإن كان حجة في النسب إلا أنه ليس كذلك في معرفة مواقف العلويين من الأئمة عليهم السلام. وما ذكرناه من القرائن وغيرها ـ مما لا يمكن التفصيل فيه لئلا نخرج عن نظام الكتاب ـ كاف في تأييد القول بحسن حاله وأن موقفه كان على خط الإمامة.

هذا إضافة إلى أننا لم نر أحد من الرجاليين ولا المؤرخين قد طعن فيه لا في نسبه ولا في عمله، فمن أين أتى البخاري بقوله: وإنما يطعنون فيه لكذا وكذا؟؟ نعم لم نجد توثيقا صريحا بالنسبة له، عند أصحابنا فقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله وقال: محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي المدني، اسند عنه، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، وله ثمان و خمسون سنة. ولم يذكره بتوثيق ولا ذم. وباقي النسابين عندما ذكروه تعرضوا إلى أنه كان مجدور الوجه، من دون الحديث عما ذكره ابو نصر البخاري: فقد ذكر ابن عنبه، والشيخ أبو الحسن العمري أنه لقب بالأرقط لأنه كان مجدورا.

حتى تبرزي شعرك الى السماء ثم قولي أنت أعطيتنيه وأنت وهبته لي اللهم فاجعل هبتك اليوم جديدة انك قادر مقتدر ثم اسجدي فانك لا ترفعين رأسك حتى يبرأ ابنك فسمعت ذلك وفعلته قال فقمت من ساعتي فخرجت مع خالي إلى المسجد[1].

كان هذا ابنها الأول إسماعيل الذي استوهبته من الله سبحانه بتعلمها صلاة الحاجة ودعاء من أخيها الإمام الصادق عليه السلام بالفعل هبة الله لها، حيث أنه فيما بعد التصق بخاله الصادق وأخذ عنه العلوم والمعارف وكان راويا إماميا ثقة، روى حديث النص على إمامة الإمام الباقر[2] عليه السلام وروايات متعددة في فضائل أمير المؤمنين[3] عليه السلام.

---

(١) تهذيب الأحكام والكافي وغيرهما..

(٢) الكافي للكليني عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن أبي القاسم الكوفي، عن محمد ابن سهل، عن إبرهيم بن أبي البلاد، عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الوفاة، قبل ذلك أخرج سفطا أو صندوقا عنده، فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، فلما توفي جاء إخوته يدعون ما في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا في الصندوق فقال: والله ما لكم فيه شيء ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) منها ما نقله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٤٩: بسنده عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي حدثني إسماعيل بن الحكم الرافعي عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي

رافع عن أبيه قال قال أبو رافع جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا وإن كان منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن فقال لهم يا بني عبد المطلب إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له من أهله أخا ووزيرا ووارثا ووصيا ومنجزا لعداته وقاضيا لدينه فمن منكم يتابعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وينجز عداتي وقاضي ديني فقال إليه علي بن أبي طالب وهو يومئذ أصغرهم فقال له اجلس وقدم إليهم الجذعة والفرق من اللبن فصدروا عنه حتى أنه لهم وفضل منه فضله فلما كان في اليوم الثاني أعاد عليهم القول ثم قال يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوسا ولا تكونوا أذنابا فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وقاضي ديني ومنجز عداتي فقام إليه علي بن أبي طالب فقال اجلس فلما كان اليوم الثالث أعاد عليهم القول فقام علي بن أبي طالب فبايعه بينهم...

ومنها ما رواه المحدث الثوري في خاتمة المستدرك ج ٣ ص ١٦٥ وغيره في غيره: حدثنا إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين قال: حدثنا إسماعيل بن الحكم الرافعي، عن عبد الله بن عبيد الله ابن أبي رافع، عن أبيه، عن أبى رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم، أو يوحى إليه، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه، فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون إلي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ثم قال: «الحمد لله الذي أكمل لعلي عليه السلام منيته، وهنيئا لعلي عليه السلام بتفضيل الله إياه» ثم التفت إلي فرآني إلى جانبه، فقال: «ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع؟» فأخبرته خبر الحية، فقال: «قم إليها فاقتلها» فقتلتها. ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال: «يا أبا

بينما كان ابنها الآخر العباس بن محمد ضحية النزق العباسي، والفحش الهاروني، ولعلك تتعجب كيف أن خليفة المسلمين الذي يقعد مقعد لا يليق إلا بنبي أو بوصي نبي وإذا به يشتم بألفاظ لا تناسب غير السوقة.. ويريد مع ذلك أن لا يرد عليه أحد ممن شتمه، حتى إذا انتصر أحد لنفسه أو لعرضه، جرد عليه سيف القتل؟! أرأيت إلى مَ وكيف آلت الخلافة التي قامت على غير ما أسس الله؟ نعم نقل الأصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين) ما يلي:

العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا الفضل. وأمه أم سلمة بنت محمد بن علي بن الحسين. حدثني أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: دخل العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، على هارون فكلمه كلاما طويلا، فقال هارون: يا ابن الفاعلة.

قال: تلك أمك التي تواردها النخاسون. فأمر به فأدنى فضربه بالجرز[1] حتى قتله

رافع، كيف أنت وقوم يقاتلون عليا وهو على الحق وهم على الباطل؟ يكون في حق الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فبقلبه، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء». فقلت: ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم. فقال: «اللهم إن أدركهم فقوه وأعنه» ثم خرج إلى الناس، فقال: «يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أميني على نفسي»

(١)الجرز: عمود من حديد

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. المفيد: محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، بيروت.

٣. الإمام زين العابدين: علي بن الحسين عليه السلام، الصحيفة السجادية.

٤. المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٥. الطبري: أحمد بن عبدالله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٦. فوزي: محمد، من قضايا الثورة الحسينية، دار محبي الحسين، قم.

٧. ابن قدامة: عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني لابن قدامة.

٨. الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٩. الطبرسي: الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى، منشورات دار النعمان، النجف.

١٠. الأمين: محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت.

١١. المفيد: محمد بن النعمان، الاختصاص، جامعة المدرسين، قم.

١٢. المفيد: محمد بن محمد، الأمالي، المكتبة الإسلامية، قم.

١٣. ابن قتيبية، الإمامة والسياسة.

١٤. ابن هشام: عبدالملك، سيرة ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٣هـ.

١٥. الأميني: عبد الحسين، الغدير، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان.

١٦. ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، در صادر، بيروت.

١٧. الطوسي: محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

١٨. الكليني، الكافي، قم.

١٩. الطوسي: محمد بن الحسن، رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، منشورات أهل البيت.

٢٠. ابن شهرآشوب: محمد بن علي، المناقب.

٢١. فوزي: محمد، بناء القادة في منهج أهل البيت، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٢. ابن خالكان، وفيات الأعيان، منشورات الشريف الرضي..

٢٣. الصالح: صالح علي، الروضة المختارة، منشورات الشريف الرضي، قم.

٢٤. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر..

٢٥. أبوفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، دار الكتاب، قم.

٢٦. الريشهري: محمدي، ميزان الحكمة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

٢٧. المقرم: عبدالرزاق، مقتل الحسين، مكتبة الداودي، قم.

٢٨. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٩. المامقاني: عبدالله، تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف.

٣٠. البحراني: عبدالله، عوالم العلوم، مدرسة الإمام المهدي، قم.

٣١. الخوئي: أبوالقاسم، معجم رجال الحديث، منشورات مدينة العلم، قم.

المحتويات

بين يدي القارئ والقارئة ٥
موجز عن حياة الإمام علي بن الحسين ٧
رجال حول الإمام السجاد عليه السلام ١١
المختار بن أبي عبيدة الثقفي ١٣
يحيى ابن أم الطويل المطعمي.. ٢٣
سعيد بن جبير ٣١
جابر بن عبدالله الأنصاري... ٤١
سليمان بن صرد الخزاعي ٥٧
نساء حول الإمام السجاد عليه السلام ٥٨
أم عبد الله ٥٨
فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام ٥٨
الراوية العالمة ٥٨
امرأة في وجه المجتمع الراكد....................................... ٥٨
نقاط في الحياة الشخصية: عمرها وزواجها ٥٨
عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية ٥٨
ودارت الدائرة على قتلة الحسين عليه السلام ٥٨
أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ٥٨
فاطمة بنت علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ٥٨
وقفتان: ٥٨
الأولى: ٥٨
الثانية: ٥٨

موجز عن حياة الإمام محمد بن علي عليه السلام ٥٨
رجال حول الإمام الباقر عليه السلام ٥٨
زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ٥٨
محمد بن مسلم بن رياح الثقفي ٥٨
جابر بن يزيد الجعفي ٥٨
سديف بن مهران المكي ٥٨
الكميت بن زيد الأسدي ٥٨
نساء حول الإمام الباقر عليه السلام ٥٨
أم الأسود بنت أعين الشيباني ٥٨
أم سلمة زوجة مهاجر الأزدي ٥٨
حُبَّى: زوجة الكميت بن زيد الأسدي.................................. ٥٨
خديجة بنت عمر بن علي السجاد عليه السلام ٥٨
الصابرة المصبِّرة ٥٨
المحدثة الراوية:... ٥٨
أم سلمة بنت محمد بن علي الباقر عليه السلام ٥٨
المصادر ٥٨
المحتويات ٥٨

للمؤلف

١. طلب العلم فريضة
٢. الهجرة مستقبل أفضل
٣. حجر بن عدي الثائر الشهيد
٤. مفهوم التقية في الإسلام
٥. عن الجهاد والثورة عند أهل البيت
٦. بناء القادة في منهج أهل البيت
٧. الحياة الشخصية عند أهل البيت
٨. نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية
٩. التشكيك.. كيف واجهه أهل البيت
١٠. رجال حول أهل البيت (جزءان)
١١. نساء حول أهل البيت
١٢. من قضايا النهضة الحسينية (١ـ ٣)

لاقتراحاتكم وآرائكم يمكن الاتصال بالمؤلف

www.al-saif.net

fawzialsaif@hotmail.com